مجلة الجامعة الإسلامية (سلسلة الدراسات الإنسانية) المجلد الثامن عشر، العدد الثاني، ص179 - ص213 يونيو 2010
ISSN 1726-6807, http://www.iugaza.edu.ps/ara/research/

الرجولة في القرآن الكريم
(دراسة موضوعية)

د. عصام العبد زهد
قسم التفسير وعلوم القرآن
كلية أصول الدين – الجامعة الإسلامية غزة

ملخص: إن الأمة الإسلامية تحتاج إلى الثروات والمعادن والمال والسلاح ، لترتقي بين الأمم والشعوب ، لكنها تحتاج قبل ذلك إلى الرجال أصحاب العقول المفكرة والقلوب الكبيرة والعزائم القوية والهمم العالية ليتحملوا على عاتقهم النهوض بالمجتمع الفلسطيني نحو العزة والكرامة وتحرير الأرض والمقدسات.

إن رجل العقيدة الذي تربى على مائدة القرآن هو الجندي المخلص وهو عماد الأمة وروح النهضة والتقدم ومحور الإصلاح والتغيير في المعادلة الصعبة التي تواجهنا اليوم في زمن عزّ فيه الرجال.

لذلك كان هذا البحث ، ليوضح حقيقة ، من هو الرجل الذي نريد ؟

Adult Strong Men in Quran

Abstract: The Islamic Nation is in a need for many Qssets such as valuable objectives, money and power in order to be distenguished a mong other contries and nations. Therefore the Islamic Nations need to a lot of meen who have good thinking Brains and men with big hearts and enthusiasem. This will make men bring the Palestinian Society keep up with its dignity and liberate their land and holy places. Religious men learned Quran from early stage are the fathfull solders whom the nation depends on tourds changes and revolutions when facing difficulties nowadays. For this reason this research is designed to show the types of needed men.

المقدمة:

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على أشرف المرسلين النبي الأمين الداعي إلى دين الله الحق والهادي إلى صراط الله العزيز الحميد ، وعلى آله وصحبه الغر الميامين ، ومن نهج نهجه واتبع طريقه إلى يوم الدين.

تبادر إلى ذهني سؤال ملح يحتاج إلى جواب شافٍ ، ألا وهو من هم الرجال ؟ فكان هذا البحث للإجابة على من يزعم أنه يتصف بهذه الصفة النبيلة ، ولكن القليل من يحوزها.

والقرآن الكريم حدد معالم الرجولة ، ووضح حدودها ، من خلال العديد من الآيات القرآنية التي تحدثت عن خصائص الرجولة الحقيقية ، بهدف تكوين الرجال الذين يحملون عبء النهوض بالأمة والسير بها نحو التقدم والتحرير وعودة العزة والكرامة والشرف والمقدسات.

فلا يختلف اثنان في أهمية الرجولة وضرورتها ، فعلى أكتاف الرجال تقوم الحضارات وتنهض الأمم ، فهم الوقود المتدفق بالعمل الدؤوب والإخلاص المطلق ، فما نهضت أمة ولا تحرر شعب من الاحتلال إلا بالرجال الصادقين ، الذين بذلوا الغالي والنفيس من أجل النهضة والإعمار ، وأقرب مثال على تضحية الرجال هم الصحابة ﷺ ، فقد تحملوا الصعاب والشدائد والخطوب ، ليعم الإسلام أرجاء الأرض فصبروا على الجوع والخوف وهجرة الأوطان ولكنهم أقاموا للإنسانية مجداً تليداً عزّ نظيره في هذه الأيام.

ونحن اليوم في حاجة ماسة لمثل أولئك الرجال ، ونحن نتجرع مرارة الاحتلال والتأخر بين الأمم ؛ لأننا فرطنا في بناء الرجال الصالحين الذين لا يعرفون طعماً للهزيمة ولا يسلمون أبداً لليأس.

والمتأمل في واقعنا المعاصر يتحسر على ضياع أمتنا عندما أمسك بزمامها أشباه الرجال الذين ضاعوا في اللهث وراء مصالحهم ، وأضاعوا أمتهم التي هم سيسألون عنها أمام الله والتاريخ والأجيال ، وذلك لأنهم باعوا ضمائرهم في سوق النخاسة الغربي ، فلم يبنوا مجداً ولا عزة ؛ لأن فاقد الشيء لا يعطيه.

وإذا أردنا إيجاد الرجولة الصالحة فعلينا بالمنهج الرباني والطريق القويم ، فعلى كتاب الله يتربى الرجال وينهلون من معينه الصافي ، ومن سنة رسول الله ﷺ يكتسبون الخصال الحميدة والسمات الرشيدة ، فالعودة لتلك المنابع الصافية والأصول الكافية لنجد حاجتنا فيها.

ولأجل التعرّف على حقيقة الرجولة كان هذا البحث ؛ ليكشف الستار عن مضامينها كما وردت في كتاب الله الكريم وصورتها الآيات الحكيمة ونطقت بها الحروف الكريمة فجعلت البحث من تمهيد ، وثلاثة مباحث ، وخاتمة:

أما التمهيد: فقد اشتمل على مجيء لفظة الرجل في القرآن الكريم:

أولاً: مجيء لفظة رجل بصيغها المتعددة في القرآن الكريم.

ثانياً: الرجولة لغة.

ثالثاً: الرجولة اصطلاحاً.

رابعاً: الرجل الذي نريد.

المبحث الأول: صفات الرجولة.

المبحث الثاني: مقومات الرجولة وعوامل ضياعها.

المبحث الثالث: رجولة الأنبياء والمرسلين.

أما الخاتمة: تناولت أهم النتائج المستخلصة من البحث.

الرجولة في القرآن الكريم

أسأل الله سبحانه وتعالى التوفيق في الآخرة والدنيا ، إنه نعم المولى ونعم النصير.

التمهيد

إن المتأمل في القرآن الكريم يجد أن لفظة الرجولة ذكرت في سبعة وخمسين موضعاً بألفاظ متعددة حيث ذُكر الرجل ، والرجلين ، والرجال ، وأراد بها النوع ، وتارة أراد بها الصفة، وأخرى أراد بها النوع والصفة معاً ، وهي موضحة في الجدول التالي:

صيغة التعبير	اللفظة	العدد	تحديد الموضع
المفرد	رَجُلٌ	16	البقرة 282 – النساء 4 – الأعراف 63 – الأعراف 69 – يونس 2 – هود 78 – المؤمنون 25 – المؤمنون 38 – القصص 20 الأحزاب 4 – سبأ 7 – سبأ 43 – يس 20 – الزمر 29 – غافر 28 – الزخرف 31.
المفرد	رجُلاً	8	الأنعام 9 – الأعراف 155 – الإسراء 47 – الكهف 37 – الفرقان 8 – الزمر 29 مرتان – غافر 28.
المثنى	رَجُلان	1	المائدة 23.
المثنى	رجُلَيْن	4	البقرة 282 – النحل 76 – الكهف 32 – القصص 15.
الجمع	الرِّجال	17	البقرة 28 – النساء 7 – النساء 32 – النساء 34 – النساء 75 – النساء 98 – الأعراف 46 الأعراف 81 – التوبة 108 – النور 31 – النور 37 – النمل 55 – العنكبوت 29 – الأحزاب 23 – الفتح 25 – الجن 6 مرتان.
الجمع	رجالاً	9	البقرة 239 – النساء 1 – النساء 176 – الأعراف 48 – يوسف 109 – النحل 43 – الأنبياء 7 – الحج 27 – ص 62.
الجمع المخاطب	رِجَالِكُمْ	2	البقرة 282 – الأحزاب 40.

لقد جاءت لفظة رجل ومشتقاتها في القرآن في (57) موضعاً كما يلي:
جاء التعبير بصيغة المفرد في (24) موضعاً.
جاء التعبير بصيغة المثنى في (5) مواضع.
جاء التعبير بصيغة الجمع في (28) موضعاً.

يلاحظ من ذلك أن لفظة رجل جاءت في القرآن المدني في (21) موضعاً في ثمان سور من القرآن الكريم ، وهي كما يلي: (البقرة – النساء – المائدة – التوبة – الحج – النور – الأحزاب – الفتح).

وجاءت في القرآن المدني في ستة وثلاثين موضعاً في إحدى وعشرين سورة ، وهي كما يلي: (الأنعام – الأعراف – يونس – هود – يوسف – النحل – الإسراء – الكهف – الأنبياء – المؤمنون – الفرقان – النمل – القصص – العنكبوت – سبأ – ياسين – ص – الزمر – غافر – الزخرف – الجن.

إن لفظة رجل بصيغها المتعددة وردت في القرآن المكي أكثر من القرآن المدني ؛ لأن القرآن المكي يعالج قضايا العقيدة ، وتصحيح تصورات الناس في المجتمع المكي ، وهذا يتطلب بناء الرجال الأشداء على أسس العقيدة والإيمان ، لكي يتحملوا المحن والخطوب ، ويمضوا قدماً في طريق الدعوة إلى الله مهما كانت الصعاب.

أما القرآن المدني فهو يخاطب المجتمع المدني المستسلم أهله لتعاليم القرآن الكريم ، فهم رجال العقيدة والإيمان ، لذلك جاءت لفظة رجل في مواطن قليلة لتتناسب مع حصر وقلة الآيات التي تتحدث عن التشريعات الإسلامية.

ولم تأتِ لفظة رجل في السور المختلف حول مكيتها ومدنيتها وذلك لأن الرجولة تختلف عن الأنوثة ، ويجب أن تكون واضحة ومتميزة بالمميزات والصفات التي جاءت في القرآن الكريم ، وكما سنوضحها في هذا البحث.

أما بالنسبة للنوع فقد قصد به الذكورة حيث جاء قوله تعالى: **[وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً]** **{النساء:1}** أي خلق منهما الذكور والإناث ، وأيضاً جاء قوله تعالى: **[وَلَا تَتَمَنَّوْا مَا فَضَّلَ اللهُ بِهِ بَعْضَكُمْ عَلَى بَعْضٍ لِلرِّجَالِ نَصِيبٌ مِمَّا اكْتَسَبُوا وَلِلنِّسَاءِ نَصِيبٌ مِمَّا اكْتَسَبْنَ]** **{النساء:32}** أي بمعنى أن الذكور لهم نصيبهم وللإناث نصيبهن أيضاً.

وفي قوله تعالى: **[إِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ الرِّجَالَ شَهْوَةً مِنْ دُونِ النِّسَاءِ بَلْ أَنْتُمْ قَوْمٌ مُسْرِفُونَ]** **{الأعراف:81}**.

وعندما أراد الصفة ، أي توافر صفات الرجولة في الذكر فقد قال تعالى: **[مِنَ المُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللهَ عَلَيْهِ فَمِنْهُمْ مَنْ قَضَى نَحْبَهُ وَمِنْهُمْ مَنْ يَنْتَظِرُ وَمَا بَدَّلُوا تَبْدِيلًا]** {**الأحزاب:23**} فكلمة المؤمنين جمع للمذكر ولم يقل سبحانه وتعالى كل المؤمنين رجال ، وإنما قال من المؤمنين رجال ، ومن تفيد التبعيض ، أي ليس كل ذكر رجل ، وإنما كل رجل ذكر فلم يرد النوع ، أي الذكورة ، وإنما أراد الصفة كالصدق والوفاء بالعهد ، ولم يهادن ولم ينافق ولم يتنازل عن دينه وثوابته ، وإنما قدم روحه شهيداً في سبيل الله واتصف بصفات الرجولة ، وأراد النوع والصفة بالرجولة في قوله تعالى: **[الرِّجَالُ قَوَّامُونَ عَلَى النِّسَاءِ بِمَا فَضَّلَ اللهُ بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ وَبِمَا أَنْفَقُوا مِنْ أَمْوَالِهِمْ]** {**النساء:34**} فالمراد بالرجال في النص القرآني أي الذكور الذين يتصفون بالقوامة والإنفاق على النساء ، وتحمل المسئولية في الحفاظ عليهن وتوفير سبل العيش الشريف لهن مهما كانت التكاليف.

وقد يظن بعض الرجال بالقوامة التحكم والسيطرة على النساء في البيت بينما هي تختلف كلياً عن ظنهم هذا ، فمعناها "القائمون على خدمة أمور النساء بما يرضي الله سبحانه وتعالى ، والعرب تقول: من يقوم على خدمتنـــا الليلة ؟ أي قام بخدمة غيره وقضى مصالحه ، والله سبحانه وتعالى جعل المرأة معلقة في رقبة الرجل يقوم على رعايتها عندما تكون بنتاً أو أختاً أو أماً أو زوجة ، وتقع القوامة بمسئولية الزوج عن أهله في أمرها بالصلاة [(1)] ، قال تعالى: **[وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِالصَّلَاةِ وَاصْطَبِرْ عَلَيْهَا]** {**طه:132**}.

وجاء على لسان إسماعيل عليه السلام قوله تعالى: **[وَكَانَ يَأْمُرُ أَهْلَهُ بِالصَّلَاةِ وَالزَّكَاةِ وَكَانَ عِنْدَ رَبِّهِ مَرْضِيًّا]** {**مريم:55**}. بينما لا توجد آية تحتم على المرأة أن تأمر زوجها بالصلاة ، وبذلك يكون الزوج مسئولاً عن أهله وبيته.

لهذا كانت الرجولة مسئولية ورعاية وخدمة وحدب من الرجل القائم على رعاية الأسرة ، بينما الزوجة مسئولة في مشاركتها لزوجها في تربية الأولاد التربية الإسلامية حتى يصبحوا عناصر خير وبركة في المجتمع.

([1]) انظر: تفسير القرآن العظيم لابن كثير الدمشقي (537/1).

أولاً: الرجولة في اللغة:

الرجُل ، بضم الجيـم ، فتخص الذكر من الناس إذا احتلم ووصل إلى سن البلوغ ، أو هو رجلٌ ساعة ولادته وتصغيره رُجَيْل ، ورويجل ، ويُجمع على رجال ورجالات ، ويُقال للمرأة المتشبهة بالرجل رَجْلَة ، ويقال فلان أرجل الرجلين إذا اكتملت الرجولة عنده وكانت صفته (1).

ثانياً: الرجل في الاصطلاح:

عرّف بعض العلماء الرجل بأنه الذي أخضع ذاته ونفسه لمنهج الله فهماً وسلوكاً (2).

الرجولة التي نريد:

ولقد أوضح الحق تبارك وتعالى معنى الرجولة التي نُريد في قوله تعالى: [**مِنَ المُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللهَ عَلَيْهِ فَمِنْهُمْ مَنْ قَضَى نَحْبَهُ وَمِنْهُمْ مَنْ يَنْتَظِرُ وَمَا بَدَّلُوا تَبْدِيلًا**] {**الأحزاب:23**}.

فالرجولة تكمن في صدق العهد مع الله ومع الناس وعدم الجبن عند لقاء الأعداء ومواجهة المصاعب والمحن والرضا بالقضاء والقدر ، وعدم التلون بل الثبات على هذا الدين حتى يأتي حكم الله ، إما النصر أو الشهادة ، إنهم الرجال حقاً وغيرهم فصورهم صور الرجال (3). وتكمن الرجولة في الطاعة الكاملة لما جاء في دين الله من ذكر وتسبيح وملازمة المساجد بإقامة الصلاة وإخراج الزكاة ودوام الإنفاق ، وفي الخوف من الجليل والعمل بالتنزيل ، قال تعالى: [**رِجَالٌ لَا تُلْهِيهِمْ تِجَارَةٌ وَلَا بَيْعٌ عَنْ ذِكْرِ اللهِ وَإِقَامِ الصَّلَاةِ وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ يَخَافُونَ يَوْمًا تَتَقَلَّبُ فِيهِ القُلُوبُ وَالأَبْصَارُ**] {**النور:37**}.

وتتمثل الرجولة في إظهـار القـوة والبأس والشجاعة عند قول الحق وعدم الخوف في الله لومة لائم حيث ظهر ذلك الموقف الرجولي من مؤمن آل فرعون ، قال تعالى: [**وَقَالَ رَجُلٌ مُؤْمِنٌ مِنْ آَلِ فِرْعَوْنَ يَكْتُمُ إِيمَانَهُ أَتَقْتُلُونَ رَجُلًا أَنْ يَقُولَ رَبِّيَ اللهُ وَقَدْ جَاءَكُمْ بِالبَيِّنَاتِ مِنْ رَبِّكُمْ...**] {**غافر:28**} كما أن الرجولة تظهر في مواجهة الباطل مهما علا وأصر على باطله واستكبر ، قال تعالى: [**وَجَاءَ مِنْ أَقْصَى المَدِينَةِ رَجُلٌ يَسْعَى قَالَ يَا قَوْمِ اتَّبِعُوا المُرْسَلِينَ * اتَّبِعُوا مَنْ لَا يَسْأَلُكُمْ أَجْرًا وَهُمْ مُهْتَدُونَ**] {**يس: 20-21**}.

---

(1) انظـر: القامـوس المحيط للفيـروزآبادي ، ص 903 ، وأيضاً تفسير مفردات ألفاظ القرآن الكـريم لـسميح عاطف الزين ، ص 350 ، 351.

(2) انظر: خطبة لهاشم محمد المشهداني على موقع www.ozkorallah.net.

(3) انظر: تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان ، لعبد الرحمن السعدي 154/4.

الرجولة في القرآن الكريم

ولقد تجلت الرجولة في كامل صورها المشرقة في أنبياء الله عليهم السلام من لدن آدم إلى محمد ﷺ ليكونوا منارات يُقتدى بهم إلى يوم الدين حيث ظهرت في عفة يوسف عليه السلام في مواجهته امرأة العزيز ، وقوة موسى عليه السلام ومروءته في موافقة مع شعيب وزواجه من إحدى ابنتيه ، وعندما وقف أمام طغيان فرعون ، يصدع بالحق ، وفي تواضع سليمان في خطابه للنملة والهدهد ، قال تعالى: [**فَتَبَسَّمَ ضَاحِكًا مِنْ قَوْلِهَا وَقَالَ رَبِّ أَوْزِعْنِي أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَى وَالِدَيَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَالِحًا تَرْضَاهُ وَأَدْخِلْنِي بِرَحْمَتِكَ فِي عِبَادِكَ الصَّالِحِينَ * وَتَفَقَّدَ الطَّيْرَ فَقَالَ مَا لِيَ لَا أَرَى الهُدْهُدَ أَمْ كَانَ مِنَ الغَائِبِينَ**] {**النمل: 19،20**}.

كما تتجلى الرجولة في تعلم العلم وتعليمه حيث تحدث القرآن الكريم عن علم ذي القرنين ، قال تعالى: [**إِنَّا مَكَّنَّا لَهُ فِي الأَرْضِ وَآَتَيْنَاهُ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ سَبَبًا * فَأَتْبَعَ سَبَبًا**]{**الكهف:84-85**}.

وتعني الرجولة النطق بالحكمة والبعد عن سفاسف الأمور حيث ذكر القرآن الكريم حكمة لقمان عليه السلام ، قال تعالى: [**وَلَقَدْ آَتَيْنَا لُقْمَانَ الحِكْمَةَ أَنِ اشْكُرْ للهِ وَمَنْ يَشْكُرْ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِ وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ اللهَ غَنِيٌّ حَمِيدٌ**] {**لقمان:12**}.

وأظهر القرآن الكريم الرجولة في الفتوة الصالحة عندما حطم أصنامهم ووقف يجادلهم بمنطق العقل وقوة الإيمان الراسخ حيث جاء في حوار إبراهيم عليه السلام قوله تعالى: [**قَالُوا سَمِعْنَا فَتًى يَذْكُرُهُمْ يُقَالُ لَهُ إِبْرَاهِيمُ**] {**الأنبياء:60**}.

وجاء عن يحيى عليه السلام قوله تعالى: [**يَا يَحْيَى خُذِ الكِتَابَ بِقُوَّةٍ وَآَتَيْنَاهُ الحُكْمَ صَبِيًّا**]{**مريم:12**} ، وعن أصحاب الكهف قال تعالى: [**إِنَّهُمْ فِتْيَةٌ آَمَنُوا بِرَبِّهِمْ وَزِدْنَاهُمْ هُدًى**] {**الكهف:13**}، ونستطيع القول بأن الرجولة ليست بالمال والجسم والجاه وإنما الرجولة هي قوة إيمانية روحية تكمن في النفس فتحمل صاحبها إلى التحلي بمكارم الأخلاق ومعالي الأمور ، وتُبعده عن المنكرات وكل سفاسف الحياة ، والرجولة تجعل الصغير كبيراً في سلوكه مع الآخرين، وقوياً في ضعفه وغنياً في فقره ، وأن يؤدي واجبه نحو نفسه ونحو ربه ونحو أمته ودينه ووطنه.

المبحث الأول

صفات الرجولة في القرآن الكريم

إن المتتبع لمعنى الرجولة في القرآن الكريم يعلم أن أعظم من تتحقق فيهم مقومات الرجولة الحقة هم الذين يستضيئون بنور الإيمان ويهتدون بهدى الإسلام ويعملون بمقتضى القرآن ويحققون عبادة الرحمن ويلتزمون التقوى في جميع أمور حياتهم صغيرها وكبيرها.

وليست الرجولة جسماً وتركيباً ولكنها أخلاقاً وعقيدة وليست أعماراً معينة وإنما هي صفات وخصال حميدة ، فأعمار الرجال لا تقاس بعدد السنين وإنما تقاس بما تثمر من الأعمال الخيرية المفيدة لأبناء المجتمع ، وربما ابن أربعين سنة يكون في نظر التاريخ من أطول المعمريـن عمـراً لما أحدثه من تغيير في واقع الأمة إلى الأفضل ، كما وأن الرجل لا يكون رجلاً لذكورته الجنسـية ، وإنما يكـون رجلاً بذكورة نفسه وقلبه وذكورة عمله ، فلا نعني بالرجل أنه غير المرأة في التكوين الجسـدي ولكن نريد بالرجل صاحب القيم والمثل العليا النبيلة المنبثقة من عقيدة الإسلام [1].

إن للرجولة صفات كثيرة أخصها أن تكون صاحب رأي سديد ، وأن تعيش في نفسك لا من نفس غيرك ، وأن تستقل بشخصيتك فيما تُفكر وتحكم وتقدر ، وهذه هي الشخصية المستقلة ، والرجولة الحقة هي التي تنشأ عند الرجال على مائدة القرآن الكريم ورجل العقيدة يتمثل منهج الله سبحانه في كل حركاته وسكناته وأعماله وسائر أقواله وهو مؤمن بربه وبمنهجه القويم ، ومؤمن بنفسه ومؤمن بنصر الله ، قال تعالى: **[وَكَانَ حَقًّا عَلَيْنَا نَصْرُ المُؤْمِنِينَ]** **{الرُّوم:47}**.

ويتصف رجال الإيمان والعقيدة بصفات كثيرة منها التالي:

المطلب الأول: الإخلاص في العبادات:

يتضح من التأمل في آيات القرآن الكريم أن العبادة ليست هي إقامة الشعائر التعبدية فقط، فإقامة تلك الشعائر جزء بسيط من مفهـوم العبـادة العام ، والعبادة تعني اتباع ما أنزل الله على رسوله ﷺ ، قال تعالى: **[وَاتَّبِعُوا أَحْسَنَ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكُمْ مِنْ رَبِّكُمْ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَكُمُ العَذَابُ بَغْتَةً وَأَنْتُمْ لَا تَشْعُرُونَ]** **{الزُّمر:55}**.

وقال صاحب الظلال: (ينبغي أن تدرك أنـه ليس فـي التصـور الإسلامي نشاط لا ينطبق عليه معنى "العبادة" فالعبادة شاملة لكل حركة وعمل ونشاط يقـوم به الإنسان في هذه الحياة فلا بد أن يبتغي به وجه الله ويحقق مرضاته ، فنظام الحكم ونظام الاقتصاد والسياسة

(1) انظر: حياة العقيدة ورجالها ، لمحمد عبد الحميد أحمد ، ص 11 ، 12.

والاجتماع وسائر التشريعات الجنائية والمدنية أو ما يتعلق بالأسرة والدولة كلها مترابطة مع بعضها البعض ويتحقق في إقامتها العبودية لله في حياة الناس) [1].

إن العبادة تشمل حركات الإنسان على سطح هذه المعمورة وتضم كل أنشطته بجميع أطيافها حتى الخدمات الاجتماعية التي يقدمها الإنسان لأبناء مجتمعه هي لون من ألوان العبادة المتعددة التي يؤجر عليها الإنسان ويثاب على فعلها ، وأوضح ذلك الشيخ القرضاوي فقال: (كل عمل يمسح به الإنسان دمعة محزون أو يخفف به كربة مكروب أو يضمد به جراح منكوب أو يسد به رمق محروم أو يشد به أزر مظلوم أو يقيل به عثرة مغلوب أو يقضي به دين غارم مثقل ، أو يأخذ بيد فقير متعفف ذي عيال أو يهدي حائراً أو يعلم جاهلاً أو يأوي غريباً أو يدفع شراً عن مخلوق أو أذى عن طريق أو يسوق نفعاً إلى ذي كبد رطبة فهو عبادة وقربة إلى الله إذا صحت النية وكانت مع الله) [2].

نستخلص من خلال ذلك أن الإسلام عقيدة وسلوك كما أنه عبادة ومعاملات لا يمكن الفصل بين هذه وذاك ، وبهذا المفهوم الشامل للعبادة يصبح الرجل في المجتمع عنصر خير وبركة يفيض دائماً بالعطاء والمساعدة للآخرين ، ويبذل جهده لرقي المجتمع والنهوض بالأمة نحو التقدم والازدهار والرفاه الاجتماعي.

ولتحقيق هذه الغاية ينبغي على رجل العقيدة والإيمان أن يتصف بصفات الرجولة الحقة وهي كالتالي:

أولاً: الذكر الدائم لله تعالى:

إن ذكر الله أمر عظيم ، ولا أحد أحق من الله في التعظيم والتقدير ؛ لأنه المنعم المتفضل علينا بكل النعم ، فكيف لا يذكر ولا يشكر ؟!

والذكر فيه صفاء للنفس وتهذيب لها واتصال بالله وسمو بالروح لترفرف في العلياء فيفيض على صاحبها من الأنوار ما يذهب عنه الحزن والهم ، قال تعالى: **[رِجَالٌ لَا تُلْهِيهِمْ تِجَارَةٌ وَلَا بَيْعٌ عَنْ ذِكْرِ اللهِ وَإِقَامِ الصَّلَاةِ وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ يَخَافُونَ يَوْمًا تَتَقَلَّبُ فِيهِ القُلُوبُ وَالأَبْصَارُ]{النور:37}.**

(1) في ظلال القرآن ، سيد قطب ، مجلد 3 ، ص 1937.

(2) العبادة في الإسلام للشيخ يوسف القرضاوي ، ص 57.

وصف القرآن الكريم الرجال بأنهم لا يشغلهم عن ذكر الله شيء من أمور الدنيا ؛ لأنهم قوم أصحاب همم عالية وعزيمة صادقة فلا تزحزحهم التجارة ولا البيع عن ذكر الله وتقديسه ، بل يذكرون الله في البيوت التي أذن الله أن ترفع ليذكر فيها اسم الجليل (1).

فالله ﷻ أذن لعباده أن يذكروا اسمه في بيوته والذكر يعم جميع الأذكار التي منها تلاوة القرآن الكريم ؛ لأن التلاوة من معاني ذكر الله ، كما يشمل الذكر توحيد الله ﷻ وهو قول لا إله إلا الله ، وذكر أسمائه الحسنى (2).

ونخلص إلى أن الرجال المؤمنين لا تتوقف ألسنتهم عن ترديد ما توقن به قلوبُهم من الإيمان الصادق بالله ، فهم يذكرون الله على كل أحوالهم ، قال تعالى: **[الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللهَ قِيَامًا وَقُعُودًا وَعَلَى جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَذَا بَاطِلًا سُبْحَانَكَ فَقِنَا عَذَابَ النَّارِ] {آل عمران:191}.**

ثانياً: يحبون الطهارة:

إن النظافة دليل الطهارة التي هي من أخص صفات الرجال المؤمنين ، قال تعالى: **[فِيهِ رِجَالٌ يُحِبُّونَ أَنْ يَتَطَهَّرُوا وَاللهُ يُحِبُّ المُطَّهِّرِينَ] {التوبة:108}** ، فالله ﷻ يثني على من أحب الطهارة وتسلح بالوضوء في كل أوقاته وهي مروءة أدمية ووظيفة شرعية ، لا تصح الصلاة بدونها ؛ لأن من يقف بين يدي ربه لا بد أن يتصف بأجمل الخصال وهي النظافة والاستعداد لملاقاة الله وهو طاهر البدن والثوب.

وقد امتدح الله أهل مسجد قباء لأنهم رجال يحبون أن يتطهروا حسياً بأبدانهم من الحدث وبأثوابهم والمكان الذي يؤدون فيه العبادة ، ولحرصهم على الغسل والوضوء والله يحب أهل الطهارة والنظافة ويرضى عنهم (3).

ولا يكتفي الرجال بالطهارة الحسية بل يتطهرون طهارة معنوية من المعاصي والخصال الذميمة لتحقيق مرضاة الله ﷻ ؛ لأن الطهارة تكون من الذنوب بالتوبة والأعمال المكفرة للذنوب(4) ، قال تعالى: **[يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آَمَنُوا تُوبُوا إِلَى اللهِ تَوْبَةً نَصُوحًا عَسَى رَبُّكُمْ أَنْ يُكَفِّرَ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَيُدْخِلَكُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الأَنْهَارُ] {التَّحريم:8}.**

---

(1) انظر: جامع البيان لابن جرير الطبري 146/18 ، وانظر التفسير الوسيط ، د. وهبة الزحيلي 1754/2

(2) انظر :جامع البيان لابن جرير الطبري 145/18 ، وأيضاً روح المعاني للألوسي 176/18.

(3) انظر: التفسير الوسيط ، د. وهبة الزحيلي 919/1.

(4) انظر: إرشاد العقل السليم لأبي السعود 440/3-441.

إن الرجال في المجتمع الإسلامي يحرصون على نيل الطهارة بكافة أنواعها ، فهم يطهرون أجسادهم بالماء فلا تمرض ويطهرون أرواحهم بالصلاة فلا تنحرف ويظهرون أموالهم بالزكاة فلا تنقص ، ومن خلال ذلك كان المجتمع مجتمعاً طاهراً نظيفاً [1].

ثالثاً: قلوبهم معلقة في المساجد:

هذه صفة من صفات الرجال العظماء الذين حازوا على شرف الرجولة ، وفازوا بظل الله يوم لا ظل إلا ظله ، عن أبي هريرة ﷺ عن النبي ﷺ قال: **(سبعة يظلهم الله في ظله يوم لا ظل إلا ظله ذكر منهم رجل قلبه معلق في المساجد)** [2].

إن المسجد بيتٌ لكل تقي ، ولا يعمره إلا صفوة البشر ولا يهجره إلا أراذلهم ؛ لأنه منبع كل خير وله ينتهي كل معروف وهو مهبط الرجال فيه ينشأون على حب الخيرات وبغض المنكرات وحب الجهاد في سبيل الله لتحقيق العزة والكرامة والشرف وتحرير المقدسات من العدو الغاصب المحتل.

قال تعالى:**[لَمَسْجِدٌ أُسِّسَ عَلَى التَّقْوَى مِنْ أَوَّلِ يَوْمٍ أَحَقُّ أَنْ تَقُومَ فِيهِ فِيهِ رِجَالٌ يُحِبُّونَ أَنْ يَتَطَهَّرُوا وَاللهُ يُحِبُّ المُطَّهِّرِينَ] {التوبة:108}** ، فهؤلاء الرجال عمّروا بيوت الله عمارة معنوية بكثرة التردد عليها والصلاة فيها ، وبالأذكار وتلاوة القرآن ، هؤلاء هم الصفوة المختارة الثابتة على منهج الله ﷻ ، والله يدلنا على منابع الصدق وأماكن الثبات على الحق ، وأحب البقاع إليه ، حيث قال تعالى: **[فِي بُيُوتٍ أَذِنَ اللهُ أَنْ تُرْفَعَ وَيُذْكَرَ فِيهَا اسْمُهُ يُسَبِّحُ لَهُ فِيهَا بِالغُدُوِّ وَالآَصَالِ] {النور:36}**.

فالمساجد محاضن لوجود القلوب النورانية الصادقة ، والله أمر أن تعظم بتطهيرها من الدنس واللغو والأقوال التي لا تليق بها ؛ لأن المساجد لها قدسيتها ولها الدور الأول في صناعة الرجال الأقوياء بإيمانهم وعقيدتهم [3].

ويقول الحق سبحانه وتعالى: **﴿ فِي بُيُوتٍ أَذِنَ اللهُ أَنْ تُرْفَعَ ﴾** فكأن مأوى هذه القلوب هي المساجد ، وهذا يدل على أن التربية الإيمانية الشاملة إنما تكون في المساجد ؛ لأنها المناخ الجيد للتربية الصالحة.

---

(1) انظر: رجال أنزل الله فيهم قرآناً لعبد الرحمن عميرة 18/8.

(2) انظر: الترمذي ك الزهد ، باب 53 ، ج7 ، ص 98 ، حديث رقم (2391) وهو جزء من حديث طويل، أيضاً مسند أحمد ، ج2 ، ص 439.

(3) الأساس في التفسير للشيخ سعيد حوى 3775/7.

وهذا يجعلنا نهتم بعمارة المساجد وجلب الناس إليها لينهلوا من آدابها الجمة وأخلاقها الوفيرة وليبنوا نفوسهم على أسس متينة وقواعد صلبة لا تهتز أمام المحن والشدائد (1).

رابعاً: الخشيةُ من الله:

إن القلوب العامرة بالإيمان لا تخف إلا من ربها ، ولا تهتم بقوة أحد ؛ لأنها موقنة أن كل ما سوى الله فهو باطل وضعيف قاصر لا يملك لنفسه ضراً ولا نفعاً ، وإنما ذلك لله وحده ، قال تعالى: **[قُلْ فَمَنْ يَمْلِكُ لَكُمْ مِنَ اللهِ شَيْئًا إِنْ أَرَادَ بِكُمْ ضَرًّا أَوْ أَرَادَ بِكُمْ نَفْعًا بَلْ كَانَ اللهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا] {الفتح:11}.**

يقومون بأداء الطاعات ويخشون يوم الحساب يوم التناد يوم تتقلب القلوب فتبلغ الحناجر، وتزيغ الأبصار وتشخص ، وتتبدل أحوال الناس فتفيق وتنتبه بعد سكرتها ، ولأجل هذا الخوف لا تلهيهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله ، ومع هذا الخوف يعلقون رجاءهم بثواب الله ومغفرته (2) ، قال تعالى: **[رِجَالٌ لَا تُلْهِيهِمْ تِجَارَةٌ وَلَا بَيْعٌ عَنْ ذِكْرِ اللهِ وَإِقَامِ الصَّلَاةِ وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ يَخَافُونَ يَوْمًا تَتَقَلَّبُ فِيهِ القُلُوبُ وَالأَبْصَارُ] {النور:37}.**

وقد تتقلب القلوب لتدرك الحقيقة الناصعة في صدق الله ورسوله عن وقوع يوم القيامة وما فيه من مشاهد عظيمة ، فتنقلب إلى الإيمان بعد الكفران والأبصار إلى العيان بعد الإنكار في الدنيا (3).

قلوب الرجال لا تعــرف الجبــن أو الخور ، فهي قوية متينة ، لكنها تذوب من خشية الله ﷻ ولا سيما عندما تتذكر الآخرة يوم الحساب.

خامساً: إقامة الصلاة:

إن الصلاة عماد الدين ، وهي صلة بين العبد وربه ، يستمد العبد منها قوة الإيمان والصبر وتحمل مصاعب الحياة ، والصلاة صفة رئيسة من صفات الرجال الصادقين ، فهم يؤدونها بتواضع وخشوع وخضوع لله تعالى ، قال تعالى: **[قَدْ أَفْلَحَ المُؤْمِنُونَ * الَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَاشِعُونَ * وَالَّذِينَ هُمْ عَنِ اللَّغْوِ مُعْرِضُونَ] {المؤمنون: 1-3}.**

فالرجال يقيمون الصلاة في مواقيتها بدون أي تأخير ولا تقصير ، وهم يشتغلون بالتجارة والبيع لتحصيل الكسب الحلال الطيب ، ولكنهم مع شغلهم هذا إلا أنهم لا يغفلون عن

---

(1) الأساس في التفسير للشيخ سعيد حوى 3785/7.

(2) انظر في ظلال القرآن ، سيد قطب 2520/4 ، وأيضاً فتح الرحمن في تفسير القــرآن ، عبــد المــنعم أحمــد 2352/4.

(3) الأساس في التفسير ، سعيد حوى 3776/7.

أداء حق الله في الصلاة ، ولا يلهيهم الكسب والتجارة عن الصلاة وحضور الجماعة في المسجد[1] ، فهم يؤدون الصلاة ويسعون في نفس الوقت للكسب الحلال ليكفوا أنفسهم ذلّ السؤال للناس ، وفي هذا ردٌ على من ذهب إلى أن الرجال لا عمل لهم ولا تجارة في قوله تعالى: **[رِجَالٌ لَا تُلْهِيهِمْ تِجَارَةٌ وَلَا بَيْعٌ عَنْ ذِكْرِ اللهِ وَإِقَامِ الصَّلَاةِ] {النور:37}** ، ولكن مفهوم الآية لا يقصد أنهم لا يشتغلون ولا يبيعون ولا يتجرون ، بل المقصود عدم الانشغال بالأعمال عن أداء الصلاة في بيوت الله المساجد [2].

والصلاة تقوي الصلة بين العبد وخالقه ، وهي ركن هام يمد الجماعة المسلمة بالقوة الروحية التي لا بد منها لإصلاح المجتمع ، ولها دور عظيم في تخفيف المصائب عن المسلمين وكان ﷺ يهرع إلى الصلاة إذا حزبه أمر ويقول: أرحنا بها يا بلال.

والصلاة تربي الرجال على الطاعة الكاملة لله سبحانه والاستسلام الكامل للخالق في خضوع وتذلل حينما يناجي ربــه بقراءة القرآن وينقطع عن الغفلة ويعد من الشاكرين الذاكرين ، عن عائشة رضي الله عنها أن النبي ﷺ كان يقوم الليل حتى تتفطر قدماه ، فقالت عائشة: لِمَ تصنع هذا يا رسول الله وقد غفر الله لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر ؟ قال: أفلا أحبُّ أن أكون عبداً شكوراً [3].

سادساً: إيتاء الزكاة:

الطهارة مطلب الجميع ولا يرفضها إلا صاحب فطرة منحرفة وطبيعة مشوهة ، وتعتبر الزكاة طهارة للمال عندمـــا تخرج لمستحقيها ، وطهارة لنفس صاحبها من الشح والبخل ، فيها يزكو ويطهر من أدران الجشع والأنانية ويشعر بجوع الفقراء وتوجع المعوزين ، لهذا يتصف الرجال بالعطاء والنجدة لكل المحتاجين ويسرعون في سد حاجات إخوانهم بدون تردد ، قال تعالى: **[رِجَالٌ لَا تُلْهِيهِمْ تِجَارَةٌ وَلَا بَيْعٌ عَنْ ذِكْرِ اللهِ وَإِقَامِ الصَّلَاةِ وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ يَخَافُونَ يَوْمًا تَتَقَلَّبُ فِيهِ القُلُوبُ وَالأَبْصَارُ]** {النور:37}.

والزكاة ركن من أركان الإسلام وتعتبر من المعلوم من الدين بالضرورة ، وتم إجماع المسلمين على وجوبها ، ويعتبر من أنكر وجوبها خارج عن الإسلام ، ويقتل كفراً والذي يمتنع

---

(1) انظر: محاسن التأويل للقاسمي 391/7 ، وأيضاً انظر في ظلال القرآن 2520/4.

(2) انظر : الأساس في التفسير ، سعيد حوى 3775/7 ، وأيضاً التحرير والتنوير لابن عاشور 248/18.

(3) أخرجه البخاري في فتح الباري ، مجلد 8 ، ك التفسير ، باب 2 ، ص 584 ، رقم (4837).

عن أدائها بخلاً مع اعتقاده بفرضيتها فإنه يؤثم ويظل في حظيرة الإسلام ، وعلى الحاكم المسلم أن يأخذها منه قهراً ، وإن قاتل دونها قوتل حتى يرجع إلى أمر الله سبحانه ويؤدي زكاة ماله (1).

ولقد شدد أبو بكر الصديق ﷺ على مانعي الزكاة بعد وفاة النبي ﷺ واعتبرهم مرتدين عن الإسلام ، فحاربهم لتفريقهم بين الصلاة والزكاة ، وقال كلمته الشهيرة: "والله لو منعوني عناقاً كانوا يؤدونه إلى رسول الله ﷺ لقاتلتهم عليه" (2).

فترك الزكاة يؤدي إلى إنكارها وهذا طريق الكفر والضلال ، لذلك توعدهم الله سبحانه بقوله تعالى:[**وَوَيْلٌ لِلْمُشْرِكِينَ * الَّذِينَ لَا يُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ بِالْآَخِرَةِ هُمْ كَافِرُونَ**]{**فصِّلت:6-7**}، وإيتاء الزكاة من الأوصاف المهمة والأساسية للمؤمنين المفلحين المخلصين ، فالرجال المؤمنون لا يقصرون في حق أحد ، فهم يقيمون صلاتهم على أكمل وجه ويمدون أيديهم بالخير والنفع لإخوانهم ، فالخير يجري على أيديهم وألسنتهم دون توقف ؛ لأنهم صادقون مع الله ومع أنفسهم وأمتهم.

المطلب الثاني: الإخلاص في المعاملات:

أولاً: السماحة في البيع والشراء:

إن الصدق في البيع يعتبر من صفات الرجولة الحقة ؛ لأنه يتضمن الوفاء بالعقود وحفظ المواثيق وأداء الحقوق إلى أصحابها وعدم كتم الشهادة عند إيقاع البيع والشراء ، وهذه من صفات الذين جاء في حقهم قوله تعالى: [**رِجَالٌ لَا تُلْهِيهِمْ تِجَارَةٌ وَلَا بَيْعٌ عَنْ ذِكْرِ اللهِ وَإِقَامِ الصَّلَاةِ**] {**النور:37**}. رجال لا تشغلهم الدنيا والمعاملات الرابحة عن ذكر الله وإقامة الصلاة وأداء الزكاة المفروضة عليهم (3).

وإذا تحققت هذه الخصال السامية المرتبطة بالبيع والشراء في نفوس الرجال وربطت بالعقيدة الإسلامية لشعر الناس بصدق التعامل والإخلاص ، فتكون وسيلة لزيادة التآلف والترابط بين أبناء المجتمع المسلم.

وحرّمت الشريعة الإسلامية الغش والخداع والحلف بالأيمان الكاذبة أثناء البيع وأن من يفعل ذلك يكون ممقوتاً من الله ورسوله والمؤمنين ، جاء في الحديث الشريف عن أبي هريرة ﷺ

---

(1) انظر: الفقه المبسط ، محمد أديب كلكل ، ص 246.

(2) انظر: إتمام الوفاء في سيرة الخلفاء ، محمد الخضري ، ص 24 ، 25.

(3) التفسير المنير ، ج18 ، ص 250.

أن رسول الله ﷺ مر على صبُــرة طعام فأدخل يده فيها ، فنالت أصابعه بللاً ، فقال: **(ما هذا يا صاحب الطعام ؟)** قال: أصابته السماء يا رسول الله ، قال: **(أفلا جعلته فوق الطعام كي يراه الناس ؟ من غشنا فليس منا)** (1).

والحديث يدل دلالة قاطعة على مبدأ الإسلام في البيع والشراء بأنه يقوم على أساس تجنب الضرر وتحريم الغش الذي يوقع الضرر بالآخرين.

وأمر ﷺ التجار بالتزام الصدق والتقوى وهي من صفات الرجولة لينالوا الأجر العظيم في الدنيا والآخرة ، قال ﷺ: **(إن التجار يُبعثون يوم القيامة فجاراً إلا من اتقى الله وبرّ وصدق)**(2).

ودعا الإسلام إلى المسامحة بين البائع والمشتري، وهذا أدب رفيع ومن أخلاق الرجولة؛ لأنه يعمل على تقريب الناس من بعضهم وتألفهم بإشاعة الراحة والطمأنينة في النفوس. عن جابر بن عبد الله ؓ أن رسول الله ﷺ قال: **(رحم الله رجلاً سمحاً إذا باع وإذا اشترى وإذا اقتضى)**(3).

كما وأوصى ﷺ التاجر أن يكون أميناً وصادقاً في بيعه وأن يربح ربحاً متواضعاً ويلتزم الأمانة في التعامل حتى ينال مرتبة الصديقين والشهداء.

عن أبي سعيد عن النبي ﷺ قال: **(التاجر الأمين الصدوق مــع النبيــين والــصديقين والشهداء)** (4).

ثانياً: الوفاء بالعهد والميثاق:

يتمسك رجـــال العقيدة والإيمان بالحق ولا يحيدون عنه؛ لأنهم عرفوا الصواب وآمنوا به، فلا تراجع إلى الباطل ولا دفاع عمّا سوى الحق، قال تعالى: **[مِنَ المُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللهَ عَلَيْهِ فَمِنْهُمْ مَنْ قَضَى نَحْبَهُ وَمِنْهُمْ مَنْ يَنْتَظِرُ وَمَا بَدَّلُوا تَبْدِيلًا] {الأحزاب:23}.**

إنهم الأوفياء بما عاهدوا الله عليه من الإيمان والطاعة والصبر والجهاد فمنهم من أوفـــى بما ألزم به نفســـه، ومنهـــم من هـــو علـــى عهده مع الله يرتقب ساعة النداء فيلبي،

---

(1) أخرجه مسلم ، ك الإيمان ، باب 43 ، ج1 ، ص 99 ، حديث رقم (164) ، والترمذي ، ك البيوع ، بـــاب 74 "كراهية الغش في البيوع" ، ج3 ، ص 606 ، حديث رقم (1315).

(2) أخرجه الدارمي ، ك البيوع ، باب 7 ، ج2 ، ص 163 ، حديث رقـــم (2541) ، وأيـــضاً ابـــن ماجـــه ، ك التجارات، باب 3 ، ج2 ، ص 726 ، حديث رقم (2146).

(3) أخرجه البخاري، فتح الباري، ك: البيوع، باب: 16، ج4 ، ص306 رقـــم 2076، وأيـــضاً ابـــن ماجـــة، ك: التجارات، باب: 28 (السماحة في البيع)، ج 2،ص: 742 حديث رقم 2203.

(4) أخرجه الترمذي، ك: البيوع، باب: 4، ج 3،ص:515، حديث رقم 1209.

لم يغيروا عهدهم مع الله [1] قال **[وَمَنْ أَوْفَى بِمَا عَاهَدَ عَلَيْهُ اللهَ فَسَيُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا]{الفتح:10}.**

وعهد هؤلاء الرجال كان على القتال لإعلاء كلمة الله والقضاء على الطاغوت وعهد على عمل الصالحات ومجانبة السيئات، عهد في الإخلاص بكل الأعمال التي يقوم بها الإنسان على سطح هذه المعمورة، وفريق أوفى بما عاهد عليه فقاتل حتى نال الشهادة فارتقى في عليين مع النبيين والصديقيــن والشـــهداء وفريق ينتظر هيلعة القتال فيصدق فيه الجهاد، فيموت على الصدق والوفاء بالعهد والميثاق بلا تبديل ولا تغيير لما بايع عليه [2].

هكذا كان الرجال في المجتمع الإسلامي لا يعرفون طعماً للذل ولا للهوان يحملون أرواحهم على أكفهم يطيرون بها نحو الجنان، ومن عاش منهم يتمنى القتال ليحقق إحدى الحسنيين النصر أو الشهادة ، فيلحق بإخوانه الصادقين الذين سبقوه على طريق الشهادة.

وهكذا الرجال الذين تربوا على مائدة القرآن الكريم، في صدقهم والتزامهم بعهودهم ومواثيقهم مع خالقهم ومع أنفسهم ومع الناس جميعاً.

ثالثاً: التعامل الأسري:

إن مسئولية البيت تقع على عاتق الرجال، وعليهم القيام بتبعات هذه المسئولية على أحسن وجه، ولهذا رفع الله الرجال على النساء درجة قال تعالى **[وَلَهُنَّ مِثْلُ الَّذِي عَلَيْهِنَّ بِالمَعْرُوفِ وَلِلرِّجَالِ عَلَيْهِنَّ دَرَجَةٌ وَاللهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ] {البقرة:228}.**

فهذه الدرجة هي درجة القوامة، قال تعالى: **[الرِّجَالُ قَوَّامُونَ عَلَى النِّسَاءِ بِمَا فَضَّلَ اللهُ بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ وَبِمَا أَنْفَقُوا مِنْ أَمْوَالِهِمْ]** {النساء:34} وهي ليست استبداداً أو تعسفاً أو تسلطاً وترفعاً وإنما هي تكليف بالإدارة والرعاية والولاية والنفقة وهذا التكليف عبء على الرجال أكثر من النساء [3] فرفع الرجال وتفضيلهم ليس أمراً جزافاً، بل بما أودعه الله من زيادة القوة العقلية والبدنية، فالذكورة هي تمام الخلقة، ولهذا نجد الذكور في كل الأنواع من المخلوقات أذكى من الإناث، وأقوى جسماً وعزماً ، وهذا هو الغالب وليس على إطلاقه.

وبهذه الدرجة تم تفضيل الأزواج على زوجاتهم، والتي منها: الإذن بتعدد الزوجة للرجل دون المرأة وهذا اقتضته الزيادة في القوة الجسمية، وكذلك جعل الطلاق بيد الرجل دون المرأة،

---

(1) انظر: فتح الرحمن في تفسير القرآن ، عبد المنعم أحمد 2790/5.

(2) انظر : تفسير ابن كثير 623/3 وأيضاً محاسن التأويل لجمال الدين القاسمي 58/8.

(3) انظر: التفسير الوسيط ، وهبة الزحيلي 125/1.

والمراجعة في العدة، وهذا يتطلبه الزيادة في القوة العقلية وصدق التأمل، ومنها جعل المرجع في اختلاف الزوجين إلى رأي الزوج في شئون المنزل، وذلك لرجاحة عقله ودماثة التفكير، وكذلك تميز الرجل بالإنفاق وبالدية والميراث والجهاد ، وفضل الرجال على النساء لا ينكره عاقل، ولو لم يكن إلا أنها خلقت منه فهو أصلها وله أن يمنعها من التصرف إلا بإذنه، فلا تصوم إلا بإذنه ولا تحج إلا معه وهذا كله يدل على التفضيل ويبين حق الرجال على نسائهم [(1)]. حيث جاء في الحديث الشريف أن عائشة سألت النبي ﷺ فقالت: أي الناس أعظم حقاً على المرأة؟ قال: (زوجها) ، فقالت: أي أعظم حقاً على الرجل ؟ قال: (أمه) [(2)].

وتفضيل الرجال على النساء ليس فيه إهمال للمرأة أو إنقاص من أهليتها أو الطعن في كفايتها وعلمها، وإنما هو توزيع للواجبات، بما يتفق مع طبيعة وفطرة وقدرة كل من الرجل والمرأة، فالإسلام أراد بهذا أن يصون المرأة ويحافظ على كرامتها، وألا يعرضها للأذى والسوء[(3)].

يتضح من ذلك التفضيل التشريف الذي يعني التكليف والقيام بحمل أكبر قدر من الواجبات، وهذا يتناسب مع طبيعة الرجال وما جبلوا عليه من الصفات الخلقية والخلقية.

رابعاً: الأمانة في التعامل:

إن الأمانة لهي من أعظم صفات الرجال المؤمنين ؛ لأنها تدخل في سائر أعمالهم ، وتتمثل في أداء حق الله تبارك وتعالى من العبادات ، قال تعالى: [**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آَمَنُوا لَا تَخُونُوا اللهَ وَالرَّسُولَ وَتَخُونُوا أَمَانَاتِكُمْ وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ**] {الأنفال:27} ، قال ابن عباس: الأمانة هنا تتمثل في الأعمال التي كلف الله بها العباد من الفريضة ، كالصلاة والوضوء والصيام والزكاة والحج إلى غير ذلك من العبادات [(4)].

وكذلك الحواس التي أنعم الله بها على العباد فهي نوع من الأمانة كالعين وما ترى والأذن وما تسمع واليد وما تفعل ، واللسان وما يقول ، فإن صاحب هذه الحواس يسأل عنها يوم القيامة ، قال تعالى: [**وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنَّ السَّمْعَ وَالبَصَرَ وَالفُؤَادَ كُلُّ أُولَئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْئُولًا**] {الإسراء:36}.

---

(1) انظر: الجامع لأحكام القرآن للقرطبي 110/2 ، والتحرير والتنوير لابن عاشور 402/2.

(2) رواه النسائي ، ك عشرة النساء ، باب: "حق الرجل على المرأة" ، ج5 ، ص 363 ، حديث رقم (9148).

(3) انظر: التفسير الوسيط ، وهبة الزحيلي 124/1.

(4) انظر: تفسير القرآن العظيم لابن كثير 398/2.

وأيضاً الأموال والأولاد ، وغير ذلك من ودائع فهي أمانة يجب المحافظة عليها وأن نسخرها في مرضاة الله ، قال تعالى: [**وَالَّذِينَ هُمْ لِأَمَانَاتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رَاعُونَ**] {المؤمنون:8}.

المبحث الثاني

مقومات الرجولة وعوامل ضياعها

المطلب الأول: مقومات الرجولة:

إن المتتبع لمعنى الرجولة في القرآن الكريم يعلم أن أعظم من تتحقق فيهم مقومات الرجولة الحقة هم الذين يهتدون بنور الإسلام ويعتقدون بعقيدة التوحيد ويحققون العبادة للواحد الديان ويلتزمون التقوى في جميع أمور حياتهم قال تعالى: [**إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ**] {الحجرات:13} ، وعندما سئل ﷺ (من أكرم الناس؟ قال: "أتقاهم لله..." [(1)]).

يتضح من ذلك أن الرجولة وصف يتعلق بالروح والنفس والخلق أكثر مما يتعلق بالبدن والمظهر، فرب إنسان أوتي القوة والبسطة في الجسم ولكنه يطيش بعقله فيغدو صغيراً أمام الآخرين، ورب عبد مشلول الجسد مقيد البدن وهو مع ذلك يعيش بهمة الرجال والصالحين والأنبياء والمرسلين، ويعجز عن أفعاله الصالحة أقوى الأصحاء جسماً ومظهراً.

حيث جاء في الحديث الشريف عن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال: (رب أشعث مدفوع بالأبواب لو أقسم على الله لأبره) [(2)].

ولتحقيق معنى الرجولة ينبغي أن تتوفر في الرجل المقومات التالية:

أولاً: الإرادة القوية:

إن أول ميدان تتجلى فيه الرجولة أن يتحلى الإنسان بالإرادة والعزيمة القوية وأن ينتصر على نفسه الأمارة بالسوء، فالرجل الحق هو الذي تدعوه نفسه للمعصية فيأبى وتتحرك فيه الشهوة فيكبح جماحها وتبدو أمامه الفتنة فلا يستجيب لها، بل يقول: إني أخاف الله، ولنا الأسوة الحسنة في يوسف عليه السلام حيث كان في قمة الرجولة عندما راودته امرأة العزيز عن نفسها فقال: إني أخاف الله ، قال تعالى: [**وَرَاوَدَتْهُ الَّتِي هُوَ فِي بَيْتِهَا عَنْ نَفْسِهِ وَغَلَّقَتِ الْأَبْوَابَ وَقَالَتْ هَيْتَ لَكَ قَالَ مَعَاذَ اللهِ إِنَّهُ رَبِّي أَحْسَنَ مَثْوَايَ إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الظَّالِمُونَ**] **{يوسف:23}.**

---

(1) صحيح البخاري ك: 106 ، باب (الإدلاج من المحصب) 1238/3، حديث رقم: 3203 (جزء من حديث طويل).

(2) صحيح مسلم، باب 40 (الضعفاء الخاملين) 2024/4، حديث رقم (2622).

فالرجل الحق هو الذي يقود نفسه ولا تقوده ويملكها ولا تملكه وهذا أول ميادين الانتصار لتحقيق معنى الرجولة، وأولى الناس بالثناء شاب نشأ في طاعة الله فلا يستجيب لمقارفة السوء، ورجل تهيأت له أبواب المعصية لمقارفة السوء فقال إني أخاف الله رب العالمين.

قال ﷺ: (سبعة يظلهم الله في ظله يوم لا ظل إلا ظله فذكر منهم رجل دعته امرأة ذات منصب وجمال فقال إني أخاف الله) [(1)].

والرجل هو الذي يمسك نفسه عند الغضب ويتصف بالحلم حين تطيش عقول السفهاء ويعفو حين ينتقم الأشداء، والإحسان عند القدرة قال تعالى: **[وَالكَاظِمِينَ الغَيْظَ وَالعَافِينَ عَنِ النَّاسِ وَاللهُ يُحِبُّ المُحْسِنِينَ] {آل عمران:134}.**

ثانياً: الهمة العالية:

إنها علامة الرجولة والفحولة وهو أن يستصغر المرء سفاسف الأمور ويعمل على الوصول إلى معالي الأمور في العلم والعمل والأخلاق الفاضلة والقيم والمثل العليا النبيلة وقديماً قالوا: (إن الهمة مقدمة الأشياء فمن صلحت همته وصدق فيها صلح له ما وراء ذلك من الأعمال)[(2)].

وأما غير الرجال فهمتهم ميتة لا تقوى بهم إلى مفخرة، ومن سفلت به همته أصبح حبيس طباعه، وقلبه عن الحق مصدوداً، اللهو الزينة واللعب عندهم أمنية وحياة يعيشون من أجلها، وينفقون الأموال في سبيلها وليس يعنيهم كم ضاع من العمر والوقت ما دام في اللهو واللعب، وتعلقوا بأشكال وأحوال الفنانين وبأحوال الفرق التي يشجعونها، ونشيدهم في هذه الحياة:

إنما الدنيا طعام وشراب ومنام * فإذا فاتك هذا فعلى الدنيا السلام** [(3)].

إنها صورة يندى لها الجبين من صور هبوط الهمة وأشد منها خزياً أن تعنى الأمم باللهو وتنفق عليه الملايين وتشغل أبناءها بهذا اللهو والغناء الماجن.

قال تعالى: **[وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَشْتَرِي لَهْوَ الحَدِيثِ لِيُضِلَّ عَنْ سَبِيلِ اللهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَيَتَّخِذَهَا هُزُوًا أُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ مُهِينٌ] {لقمان:6}.**

---

(1) سبق تخريجه في ص 9 ، وهو جزء من حديث طويل.

(2) شبكة المعلومات إسلام ويب نت.

(3) العبادة في الإسلام للشيخ يوسف القرضاوي ، ص 289.

ثالثاً: النخوة والعزة والإباء:

إن الرجال هم أصل الشجاعة والنخوة والإباء، وهم الذين تتعالى نفوسهم عن الذل والهوان والصغار، ولذلك حينما جاء الإسلام ربى الرعيل الأول على الشجاعة والعزة والكرامة وهذب نفوسهم وضبطها بالتقوى والإيمان فكانوا رهباناً بالليل فرساناً بالنهار، قال تعالى: **[كَانُوا قَلِيلًا مِنَ اللَّيْلِ مَا يَهْجَعُونَ * وَبِالأَسْحَارِ هُمْ يَسْتَغْفِرُونَ] {الذاريات:17، 18}**، ويتضح من سيرته ﷺ أنه أحسن الناس، وكان أجود الناس وكان أشجع الناس ولذلك بث في نفوس صحابته كل معاني الشجاعة والإقدام لتحقيق النصر للدين وللذب عن حياضه، قال تعالى: **[مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ] {الفتح:29}**.

رابعاً: الإخلاص في القول والعمل:

الإخلاص أشق شيء على النفس؛ لأن الرجل المخلص لا يحرص على إنجاح العمل بقدر ما يحرص على قبوله عند الله ﷻ.

ورجل العقيدة والإيمان تعلو درجته بصدق التوجه إلى الله والتواري عن أعين الناس ليراه الله وحده، لذلك ينبغي على رجل العقيدة أن يقف ساعات يناجي فيها ربه، وليقم من نفسه على نفسه ميزاناً يحاسبها قبل أن يحاسب.

عرّف بعض علماء السلف الإخلاص بأنه العمل لله دون شوائب محبطة له أو الشوائب التي تنقصه وتؤثر عليه [1].

وبذلك يعتبر المخلص في عهوده ومواثيقه وأماناته جندي العقيدة لا الغنيمة وهو الجندي المجهول بحق؛ لأنه يقاتل ويضحي بوقته وماله ونفسه في سبيل الله دون أن يبرز نفسه للآخرين، ولا يبالي أن يقتل مجهولاً لينال ثواب الله ويلقى الله بقلب سليم خالص من كل المكدرات التي تعكر صفو العقيدة والإيمان.

ورجل العقيدة مخلص في سائر أعماله وأقواله في سره وعلانيته لا يختلف باطنه عن ظاهره ولا قوله عن فعله، قال تعالى: **[يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آَمَنُوا لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفْعَلُونَ] {الصَّف:2}**.

وأي عمل أقوى وأعظم من الجهاد في سبيل الله حيث يقدم رجل العقيدة نفسه راضياً ويبذل أغلى ما يملكه في سبيل الله، ومع ذلك إذا خالطه الرياء وحب السمعة حبط عمله؛ لأنه لم يكن خالصاً في عمله لابتغاء مرضات الله ﷻ.

---

(1) إسلام ويب نت من محاضرة "ألا لله الدين الخالص" ، لعبد الرحمن السديس.

خامساً: التضحية والفداء:

إن رجل العقيدة صاحب قلب كبير يثبت أمام المحن والعقبات وأمام الجهاد المرير الذي لا تنفع معه إلا التضحية والفداء بأخص ما يملك المجاهد في هذه الحياة ولا يملك إلا الصبر والتسليم حتى النصر والتمكين.

وليست طريق بطولة رجال العقيدة والإيمان مفروشة بالورود والرياحين بل هي طريـــق محفوفـــة بالأشواك والمصاعب والآلام، ورجل الإيمان لا يخاف الموت، بل يعتبر الموت في سبيل عقيدته من أسمى الأماني [1].

والرجال صنفان في ميدان الإصلاح والجهاد والمقاومة، رجل بلغ ذروة المجد؛ لأنه مؤمن قوي يعيش لفكرته ولا يبالي في سبيلها مهما كانت التضحيات ومخاطرها.

وبذلك فهو جندي ورجل العقيدة... والآخر عنيد يؤمن بباطله ويدافع عنه ويسخر له مواهبه ويبذل من أجله المال وحتى الدم ويخضع له آماله وأعماله، وبذلك فهو رجل الدنيا وجندي الغنيمة [2].

سادساً: الثبات وقت المحن:

لا تُعرف معادن الرجال إلا وقت الشدائد عندها تبرز مقادير الأبطال ويتكشف القناع عن وجوه الجبناء ويفرون منها خوفاً على دنياهم. قال تعالى: **[قَالَ رَجُلَانِ مِنَ الَّذِينَ يَخَافُونَ أَنْعَمَ اللهُ عَلَيْهِمَا ادْخُلُوا عَلَيْهِمُ البَابَ فَإِذَا دَخَلْتُمُوهُ فَإِنَّكُمْ غَالِبُونَ] {المائدة:23}.**

فهذا الخبر عن رجلين من قوم موسى عليه السلام يشجعان قومهما ويرغبانهم على المضي لأمر الله بالدخول للأرض المقدسة ويقولان لهم ثقوا بالله ونصره الذي لا يتخلف ويقيناً منهم أن العاقبة للمتقين فقالا: **[وَعَلَى اللهِ فَتَوَكَّلُوا إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ] {المائدة:23}.**

ولكن يهود نقصوا فولوا مدبرين ، للجبن والخوف الذي ينتاب قلوبهم وقت احتدام المعارك حيث ظهر ذلك جلياً قديماً وحديثاً ، قال تعالى: **[قَالُوا يَا مُوسَى إِنَّا لَنْ نَدْخُلَهَا أَبَدًا مَا دَامُوا فِيهَا فَاذْهَبْ أَنْتَ وَرَبُّكَ فَقَاتِلَا إِنَّا هَاهُنَا قَاعِدُونَ] {المائدة:24}.**

أما صحابة رسول الله ﷺ فقد كانوا في عهدهم على القتال لإعلاء كلمة لا إله إلا الله وثباتهم على الحق وعمل الصالحات ومجانبة السيئات فهم فريقان ، فريق أوفى بما عاهد عليه الله

---

(1) انظر: كتاب حياة العقيدة ورجالها ، لمحمد أحمد ، ص 22،21.

(2) انظر: كتاب حياة العقيدة ورجالها ، لمحمد أحمد ، ص 23.

صادقاً حتى قتل شهيداً، وفريق منهم ينتظر يوماً فيصدق فيه الثبات على درب الحق فيموت على الصدق والثبات والوفاء بلا تبديل ولا تغيير لما عاهد عليه الله [(1)].

المطلب الثاني: عوامل ضياع الرجولة:

يوجد عدة عوامل تؤدي إلى ضياع الرجولة ونزعها من جذور قلوب الناس ويتمثل أهمها في انقلاب المقاييس عند الناس كتخوين الأمين وتكذيب الصادق والظن بالأبرياء والنظر إلى المجاهدين بأنهم مخربون إرهابيون وذلك لأنهم يدافعون عن حقوقهم ومقدساتهم ، بينما اليوم الإرهابي والمحتل قاتل الأطفال والنساء والشيوخ ينظرون إليه على أنه المظلوم ، إننا في عالـــم يسوده الظلم ، وذلك لأن الجلاد أصبح الضحية ، والضحية هي الجلاد وذلك لضياع الرجولة ، وعوامل ضياعها يتمثل في التالي:

أولاً: الكفر بالله:

إن فضل الله على خلقه كبير ، ولا يقدرون على شكره مهما فعلوا من عبادات ؛ لأنه أنعم على الإنسان بالخلق والرزق والصحة وغير ذلك من النعم التي لا تعد ولا تحصى ، ومع ذلك نجد من العباد من يكفر بالمنعم فهذا جحود ، وهو ما وقع من صاحب الجنتين الذي جاء ذكره في سورة الكهف ، قال تعالى: **[قَالَ لَهُ صَاحِبُهُ وَهُوَ يُحَاوِرُهُ أَكَفَرْتَ بِالَّذِي خَلَقَكَ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ مِنْ نُطْفَةٍ ثُمَّ سَوَّاكَ رَجُلًا] {الكهف:37}.**

فالرجل المؤمن يرد على صاحبه محاوراً ومجادلاً ليجلي له وجه الصواب فيخاطبه **﴿أَكَفَرْتَ بِالَّذِي خَلَقَكَ﴾** ويُذكره بأن كلامه استعلاء على الحق وإنكار لما أنعم عليه وكفر المخلوق بالخالق الذي أبرزه من العدم إلى الوجود ، ويستبعد إنكار البعث ممن علم أن الله خلقه من تراب[(2)].

ويستمر المؤمن في تعليل ما أنكره على صاحبه ، فيتسائل أكفرت بالذي خلق أباك آدم من تراب ثم أنشأك من نطفة الرجل وبويضة المرأة ثم عدلك فأصبحت إنساناً ذكراً بالغاً مبلغ الرجال ، فالله سبحانه قادر أن يعيدك خلقاً جديداً بعد موتك [(3)].

---

(1) انظر: تفسير القرآن العظيم لابن كثير 623/3، وأيضاً محاسن التأويل لجمال الدين القاسمي 58/8.

(2) انظر: أضواء البيان ، محمد الأمين الشنقيطي 81/4.

(3) انظر: جامع البيان في تأويل آي القرآن ، محمد بن جرير الطبري 164/5.

فتذكير الإنسان بأصل وجوده دافع له على الإيمان بربه الذي أبرزه من غياهب العدم إلى خير الوجود وجعله بشراً سوياً ، ويجعله ينفر من الكفر بخالقه الذي أوجده من العدم في أحسن تقويم [1].

إن حقيقة الرجولة تكمن بالإيمان والتصديق المؤكد بالله تعالى ؛ لأن هذا أساس الفطرة السليمة والطبيعة الصافيـــة ، فخـــلاف الفطـــرة يعني التمرد والكفر والضلال والانحراف لا لشيء بل استكباراً وعناداً دون أي دليل أو منطق.

ولهـــذا فإن أخص صفـــات الرجولـــة هـــو الإيمـــان بالله وما يتـــرتب علـــى هـــذا الإيمان من أداء حقـــوق الله ﷻ وحقـــوق النـــاس في المجتمع على أكمل وجه وأفضل طريقة.

ثانياً: الاستعانة بغير الله ﷻ:

الإنسان مخلوق ضعيف وهو بحاجة إلى الله ﷻ القوي الذي يحمي من يلجأ إليه وهذا حال المؤمن مع ربه ، بعكس الكافر فهو متغير في استعانته فتارة يستعين بمخلوق مثله وتارة يستعين بالجن كما أخبر الله تعالى عنهم: **[وَأَنَّهُ كَانَ رِجَالٌ مِنَ الإِنْسِ يَعُوذُونَ بِرِجَالٍ** [2] **مِنَ الجِنِّ فَزَادُوهُمْ رَهَقًا] {الجنّ:6}.**

وكان هذا حال العرب إذا أمسى في وادٍ قفر وخاف على نفسه يقول: أعوذ بسيد هذا الوادي من سفهاء قومه يريد الجن وكبيرهم ، فإذا سمعوا بذلك استكبروا وقالوا سدنا الإنس والجن[3].

والتعوذ يكون بالالتجاء إلى ما ينبغي من شيء ينفع أو يضر ، والتعوذ في حقيقته هو من فعل العرب في الجاهلية حيث كانوا يلجأون إلى الجن ليدفعوا عنهم بعض الأضرار ، ويُذكر أن أول من سنّ هذا التعوذ هم قوم من أهل اليمن ثم بنو حنيفة ثم فشا في العرب [4].

---

(1) انظر: أضوءا البيان للشنقيطي 80/4.

(2) رجال من الجن استشكل الأمر على بعض المفسرين فذهبوا إلى أن الرجل اسم الإنس لا إسم الجن ، ولكن هذا القول لم يقم دليل عليه ، والذي ترتاح إليه النفس أن الجن فيهم الذكر والأنثى لأنهم يتكاثرون كعالم الإنس تماماً، (انظر: محاسن التأويل 331/9).

(3) انظر: تفسير أبو السعود 315/6.

(4) انظر: التحرير والتنوير لابن عاشور 225/29.

والاستعاذة بالجن يترتب عليها آثار تجعلهم يتكبروا ويزدادوا عتواً ، فيكون السبب في تجبر الجن تعوذ الناس بهم فزادوهم غياً بأن أضلوهم حتى استعاذوا بهم من الخوف والرعب الذي حلّ بهم[1].

أما أثر الاستعاذة على الإنس فهي زيادة الحيرة ؛ لأن القلب البشري حين يلجأ إلى غير الله ، طمعاً في النفع أو دفعاً لضر لا يناله إلا القلق والحيرة وقلة الاستقرار والطمأنينة ، وهذا هو الرهق في أسوأ صورة ، الرهق الذي لا يشعر معه القلب بأمن ولا راحة [2].

ثالثاً: قطع السبيل:

إن الاعتداء على الحرمات ليس من شيم الرجال ، بل هو من صفات أشباه الرجال الذين يُروّعون الآمنين ولا يتورعون عن إتيان الفواحش ، وهذه الصفة السيئة اتصف بها قوم لوط عليه السلام فعاب عليهم ذلك الفعل ، قال تعالى: **[أَئِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ الرِّجَالَ وَتَقْطَعُونَ السَّبِيلَ] {العنكبوت:29}.**

فهؤلاء القوم وصفوا بأنهم يقطعون السبيل ، وقطعهم للسبيل اتخذ أشكالاً متعددة ، ولم يكن على وتيرة واحدة ، فمن أنواع قطعهم للسبيل التالي:

1- كانوا يقطعون الطريق بإمساك الغرباء لفعل الفاحشة بهم ، حتى انقطعت الطريق ، وقد ذكر عنهم أنهم كانوا يفعلون ذلك بالمسافرين ومن ورد بلادهم من الغرباء [3].
2- قطع سبيل النسل بالإعراض عن الحرث وإتيان ما ليس بحرث وذلك بترك إتيان النساء والبحث عن الرجال.
3- يقطعون الطريق بالقتل وأخذ المال حيث يقفون في طريق الناس ويتعرضون لهم بالقتل وسلب المتاع والمراودة على فعل الفاحشة [4].

هكذا إذا انحطت الرجولة وارتكست الشهامة ، تنقلب لتفسد في الأرض ولتقترف المنكر دون أي رادع ؛ لأنها أصبحت كالوحوش الضارية في أدغال الغابات لا همّ لها إلا الحصول على الملذات دون النظر إلى وسائل تحصيلها ، لكن الصورة على العكس تماماً عند الرجال المؤمنين الذين ينضبطون بالأخلاق والفطرة السليمة ، قال تعالى: **[فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا فِطْرَةَ اللهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللهِ ذَلِكَ الدِّينُ القَيِّمُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ]{الرُّوم:30}** .

---

(1) انظر: تفسير أبو السعود 315/6 ، فتح الرحمن 377/7.

(2) انظر: في ظلال القرآن ، سيد قطب 3728/6.

(3) انظر: البحر المحيط لأبي حيان 145/7 ، وجامع البيان 68/6.

(4) انظر: محاسن التأويل 574/7 ، والتفسير المنير ، وهبة الزحيلي 231/20.

رابعاً: إتيان المنكرات:

لم يكتفِ قوم لوط بقطع الطريق ، بل اتبعوه بإتيان المنكرات في مجالسهم فازداد الأمر سوءاً ؛ لأن حياة هكذا من العسير أن يعيش فيها الشرفاء الأطهار الذين تأبى نفوسهم هذه الدونيات والسفاهات ، لذا أُلحقت هذه الصفة بصفات رذيلة مثلها ، قال تعالى: **[أَئِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ الرِّجَالَ وَتَقْطَعُونَ السَّبِيلَ وَتَأْتُونَ فِي نَادِيكُمُ {العنكبوت:29}.**

فقد اقترف هؤلاء أشباه الرجال ما تنكره الشرائع والعقول والمروءات وما لا يليق من الأقوال والأفعال (1).

وقد كانت أندية القوم تعج بالمنكرات وتمتليء بها ، منها أنهم يتظالمون فيما بينهم ويشتم بعضهم بعضاً ويتضارطون في مجالسهم ، ويلعبون بالنرد ويتناطحون بالكباش ، ويطرفون أصابعهم بالحناء وتتشبه الرجال بالنساء ، والنساء بالرجال ويضربون المكوس (2) على كـــل عابــر ، ومع هذا يشركون بالله ، وهم أول من ظهر على أيديهم اللوطية والسحاق (3).

إن الإيمان يعصمُ أتباعه من الانحطاط بمهاوي السوء ومدارك الفحش فإذا خلا قلب العبد من الإيمان يتربع عليه الشيطان فحينئذ لا يستبعد ممن كان حاله هكذا أن يفعل أي شيء حتى لو خالف الفطرة ، ولهذا استنكر الله ﷻ على قوم لوط انتكاس فطرتهم فقال تعالى: **[إِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ الرِّجَالَ شَهْوَةً مِنْ دُونِ النِّسَاءِ بَلْ أَنْتُمْ قَوْمٌ مُسْرِفُونَ] {الأعراف:81}.**

فالآية تزيد من التنفير في إتيان الرجال فهو قبيح عقلاً وشرعاً ، وترك الاستمتاع بالمرأة الحلال قبيح كذلك عقلاً وشرعاً ؛ لأن في هذا تجاوز لمحل الشهوة وصرفها في وجوه أخرى محرمة.

خامساً: انقلاب الموازين في مجال الرجولة:

إن انقلاب التصورات والمفاهيم وانحرافها عن مسارها الطبيعي هي من صفات أشباه الرجال كأن تصبح القوامة في البيت للمرأة بدلاً من الرجل ، وقد أوضح الحق تبارك وتعالى أن المسئولية في الأسرة تقع على عاتق الرجل ويتأكد هذا بتكليف الرجال بالرعاية والإنفاق والتدبير والتأديب ، قال تعالى: **[الرِّجَالُ قَوَّامُونَ عَلَى النِّسَاءِ بِمَا فَضَّلَ اللهُ بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ وَبِمَا أَنْفَقُوا مِنْ أَمْوَالِهِمْ] {النساء:34}.**

---

(1) انظر: محاسن التأويل للقاسمي 574/7.

(2) المكوس رسوم المرور الظالمة.

(3) انظر: التفسير المنير ، وهبة الزحيلي 231/20.

وهذه القوامة ليست استبداداً أو تعسفاً أو تسلطاً ، وإنما هي تكليف بالإدارة والرعاية والولاية والنفقة ، وهذا التكليف عبء على الرجال أكثر من النساء (1).

وتفضيل الرجال على النساء ليس فيه إهمال للمرأة أو إنقاص من أهليتها أو الطعن في كفايتها وعلمها ، وإنما هو توزيع للواجبات بما يتفق مع طبيعة وفطرة وقدرة كل من الرجل والمرأة ، فالإسلام بهذا أراد أن يصون المرأة ويحافظ على كرامتها وألا يعرضها للأذى والسوء(2).

سادساً: إذا أصبح الكذب رجولة:

إذا كانت صفة الكذب هي الرجولة للتخلص من المواقف المحرجة ، وإذا أصبحت الرجولة تتمثل في عدم الوفاء بالعهود والمواثيق وعدم الالتزام بالشروط ، فهذا يعني انقلاب الهرم في عقل من يرى ذلك ، فالرجولة الحقة في إسلامنا الذي يدعو إلى الالتزام والتطبيق الدقيق الأمين للعهود والمواثيق والصدع بالحق ، وأن يكون المسلم صادقاً ، ويظهر العيب إن وجد عنده أو عند غيره في حدود الأدب وبما يتفق مع روح الشريعة الإسلامية ، ولنا الأسوة الحسنة في رسول الله ﷺ حينما مر على رجل يبيع طعاماً ، فوضع يده فيه فأصابه البلل ، فقال: (ما هذا يا صاحب الطعام ؟) قال: أصابته السماء يا رسول الله ، فقلبه فجعل الجيد فوق الردئ فقال ﷺ: (ألا أظهرته من غشنا فليس منا) (3).

سابعاً: عدم الغيرة على الأهل:

إن انعدام الغيرة على الأهل عند بعض الرجال لهي من أكبر ما يقدح في رجولة الرجل وخاصة عندما لا يعنيه بأي لباس تخرج وهي كاشفة لبعض أجزاء من جسدها أمام الناس ، والرسول ﷺ حذر النســاء الكاسيات العاريات ، عن أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: (صنفان من أهل النار لم أرهما ، قوم معهم سياط كأذناب البقر بضربون بها الناس ، ونساء كاسيات عاريات مميلات مائلات رؤوسهن كأسنمة البخت المائلة لا يدخلن الجنة ولا يجدن ريحها، وإن ريحها ليوجد من مسيرة كذا وكذا) (4).

---

(1) التفسير الوسيط ، وهبة الزحيلي 125/1.

(2) انظر: التفسير الوسيط ، وهبة الزحيلي 124/1.

(3) أخرجه مسلم ، ك الإيمان ، باب 3 ، ج1 ، ص 99 ، حديث رقم (164) ، وأيضاً الترمذي 606/3 ، حــديث رقم (1315).

(4) أخرجه مسلم في صحيحه 168/6 ، باب النساء الكاسيات ، حديث رقم (5704).

وكذلك إذا أصبح الرجل لا يعنيه الجلسات المختلطة ، حيث جاء عن عقبة بن عامر ﷺ أن رسول الله ﷺ قال: (إياكم والدخول على النساء ، فقال رجل من الأنصار: أفرأيت الحمو ؟ قال: الحمو الموت !) [1].

كما أنه لا يجوز للرجل أن يلقي للزوجة الحبل على غاربه أن تخرج متى تشاء وتعود متى تشاء ولا يعرف الوجهة التي خرجت إليها أو أن تسافر بغير محرم أو عدم وجود الصحبة الطيبة من مثيلاتها التي تحفظ لها دينها وعفتها وطهارتها في الطريق.

ويقدح أيضاً في رجولة الرجل عندما يُسلم قيادة أمره إلى أهله فيصبح الرجل يأتمر أمرها ولا يخالف لها رأياً وربما تفعل ما تشاء دون استشارته والرجوع إليه ، فهذا يعني ضياع القوامة للرجل في البيت.

إن عدم انشغال الرجل بمثل هذه الأمور يدل على فقدان الغيرة على الأهل ، وهذه من خصال الديوث الذي لا يغار على عرضه حيث جاء عن عبد الله بن عمر بن الخطاب رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: (ثلاثة لا يدخلون الجنة ولا ينظر الله إليهم يوم القيامة: العاق لوالديه ، والمرأة المترجلة "المتشبهة بالرجال" ، والديوث) [2].

المبحث الثالث

رجولة الأنبياء والمرسلين

لقد مضت سنة الله في إرسال الأنبياء من الرجال ولم تتخلف في أي حالة ويتضح هذا من قوله تعالى: **[وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ إِلَّا رِجَالًا نُوحِي إِلَيْهِمْ مِنْ أَهْلِ الْقُرَى] {يوسف:109}**.

فالأنبياء دائماً كانوا رجالاً ، ولم يكونوا ملائكة ولا إناثاً ولا خلقاً آخر ، وإنما كانوا بشراً من أهل الحاضرة ، ولم يبعث الله رسولاً من أهل البادية ليكونوا أرق وألين جانباً وأصبر على احتمال تكاليف الدعوة والهداية ، ولأن أهل البادية فيهم الجهل والجفاء والغلظة في الطبع ، وأن أهل المدن أرق طباعاً وألطف في التعامل من أهل البوادي ، وهكذا رسالة نبي الإسلام محمد عليه الصلاة والسلام ماضية على سنة الله في إرسال رجال من البشر يتنزل عليهم الوحي [3].

ولم يرسل الله سبحانه رسلاً من النساء لعدم الرضا بقول قيادتهن في نفوس الأقوام ؛ ولأن المرأة مستضعفة عند الرجـــال دون العكس ، "وقد قال قيس بن عاصم حين تنبأت سجاح:

(1) أخرجه مسلم في الصحيح 7/7 ، باب تحريم الخلوة بالأجنبية ، حديث رقم (5803).

(2) أخرجه النسائي 84/5 ، حديث رقم (2561) وصححه الألباني.

(3) انظر في ظلال القرآن ، سيد قطب 2035/4 ، وأيضاً التفسير المنير ، وهبة الزحيلي 96/7.

أضحت نبيئتنا أنثى نطيف بها وأصبحت أنبياء الناس ذكرانا" (1)

والأمر واضح وجلي أن الأنبياء رجال من البشر ، ولكن العناد والكفر لا يقبل بما جاء من الحق ، ولهذا لفت الله أنظار الكفار للتأكد من هذا الأمر بسؤال أهل الذكر ، فقال تعالى: **[وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ إِلَّا رِجَالًا نُوحِي إِلَيْهِمْ فَاسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ] {النحل:43}.**

وبهذا يتضح أن الله ﷻ ما أرسل لبني آدم إلا رسلاً من البشر وهم رجال يأكلون الطعام ويمشون في الأسواق ويتزوجون النساء ، قال تعالى: **[وَمَا أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ مِنَ المُرْسَلِينَ إِلَّا إِنَّهُمْ لَيَأْكُلُونَ الطَّعَامَ وَيَمْشُونَ فِي الأَسْوَاقِ وَجَعَلْنَا بَعْضَكُمْ لِبَعْضٍ فِتْنَةً أَتَصْبِرُونَ وَكَانَ رَبُّكَ بَصِيرًا] {الفرقان:20}** .

المطلب الأول: الرسل أكمل الرجال:

إن الرسل الكرام هم أكمل الرجال وذلك ؛ لأنهم اتصفوا بكل صفات الرجولة التي ذكرناها سابقاً ولأن رجولتهم نشأت على أصول عظيمة من أصول التربية على مفاهيم الدين والإيمان والدعوة إلى الله على هدى وبصيرة ، ومن خلال إحياء الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

والرجولة في القرآن هي وصف آخر يزيد على مجرد الذكورة ، فبدأ الله سبحانه بأنبيائه في هذا الوصف فقال تعالى: **[وَمَا أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ إِلَّا رِجَالًا نُوحِي إِلَيْهِمْ] {الأنبياء:7}** ، فالله سبحانه أرسل رجالاً مواقفهم الرجولية واضحة في مواجهة الفساد والكفر والطغيان والانحراف والجور والظلم وكل من يخالف شرع الله الذي أنزله لإعمار الكون ضمن حياة يسودها الأمن والسلام والاستقرار والبناء الحضاري.

وكانت مواقف الأنبياء والمرسلين لا يقفها إلا أعظم الرجال وأشجعهم في تغيير الحياة الجاهلية برمتها ويشهد على ذلك موقف إبراهيم عليه السلام أمام النمرود ، وأثناء محاجته لقومه بعد أن حطم الأصنام بكل شجاعة وإقدام قال تعالى: **[وَتَاللهِ لَأَكِيدَنَّ أَصْنَامَكُمْ بَعْدَ أَنْ تُوَلُّوا مُدْبِرِينَ * فَجَعَلَهُمْ جُذَاذًا إِلَّا كَبِيرًا لَهُمْ لَعَلَّهُمْ إِلَيْهِ يَرْجِعُونَ * قَالُوا مَنْ فَعَلَ هَذَا بِآَلِهَتِنَا إِنَّهُ لَمِنَ الظَّالِمِينَ * قَالُوا سَمِعْنَا فَتًى يَذْكُرُهُمْ يُقَالُ لَهُ إِبْرَاهِيمُ] {الأنبياء: 57-60}.**

- ووقوف نوح ﷺ أمام أمة عاتية ماكرة ألف سنة إلا خمسين عاماً يدعوهم ليلاً ونهاراً وخفية وجهـرة وما آمـن معه إلا قليل ، ثم دعا عليهم بالهلاك: **[مِمَّا خَطِيئَاتِهِمْ أُغْرِقُوا فَأُدْخِلُوا نَارًا**

(1) التحرير والتنوير ، ابن عاشور 67/13.

فَلَمْ يَجِدُوا لَهُمْ مِنْ دُونِ اللهِ أَنْصَارًا * وَقَالَ نُوحٌ رَبِّ لَا تَذَرْ عَلَى الأَرْضِ مِنَ الكَافِرِينَ دَيَّارًا * إِنَّكَ إِنْ تَذَرْهُمْ يُضِلُّوا عِبَادَكَ وَلَا يَلِدُوا إِلَّا فَاجِرًا كَفَّارًا] {نوح: 25-27}.

- وأيضاً لقد وقف موسى ﷺ أمام جبروت فرعون الطاغية موقفاً رجولياً فيه من البطولة والفداء والإصرار على ثوابت الدعوة إلى الله ﷻ قال تعالى: **[وَفِي مُوسَى إِذْ أَرْسَلْنَاهُ إِلَى فِرْعَوْنَ بِسُلْطَانٍ مُبِينٍ * فَتَوَلَّى بِرُكْنِهِ وَقَالَ سَاحِرٌ أَوْ مَجْنُونٌ * فَأَخَذْنَاهُ وَجُنُودَهُ فَنَبَذْنَاهُمْ فِي اليَمِّ وَهُوَ مُلِيمٌ] {الذاريات:38- 40}.**

- ووقوف نبي الله هود ﷺ أمام أمة مستكبرة متجبرة يبنون بكل ريع آية يعبثون ، وإذا بطشوا ، بطشوا جبارين (وهم قوم عاد) كما أخبر الله عنهم على لسان نبيه هود ﷺ قال تعالـــى: **[وَتِلْكَ عَادٌ جَحَدُوا بِآَيَاتِ رَبِّهِمْ وَعَصَوْا رُسُلَهُ وَاتَّبَعُوا أَمْرَ كُلِّ جَبَّارٍ عَنِيدٍ * وَأُتْبِعُوا فِي هَذِهِ الدُّنْيَا لَعْنَةً وَيَوْمَ القِيَامَةِ أَلَا إِنَّ عَادًا كَفَرُوا رَبَّهُمْ أَلَا بُعْدًا لِعَادٍ قَوْمِ هُودٍ] {هود:59-60}.**

- ولقد دعا شعيب ﷺ قومه أهل مدين إلى عبادة الله وحده ونهاهم عن المنكرات والفساد ، وذكّرهم بنعم الله عليهم وأمرهم بالإصلاح وقابلوه بالعداء والتكذيب ، فهددوه بالرجم ، قال تعالى: **[قَالُوا يَا شُعَيْبُ مَا نَفْقَهُ كَثِيرًا مِمَّا تَقُولُ وَإِنَّا لَنَرَاكَ فِينَا ضَعِيفًا وَلَوْلَا رَهْطُكَ لَرَجَمْنَاكَ وَمَا أَنْتَ عَلَيْنَا بِعَزِيزٍ] {هود:91}.**

- ولما ضاقوا به ذرعاً فخيروه ومن آمن معه بين الخروج من القرية أو الرجوع إلى ملة الكفر والإفساد ، قال تعالى: **[قَالَ المَلَأُ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا مِنْ قَوْمِهِ لَنُخْرِجَنَّكَ يَا شُعَيْبُ وَالَّذِينَ آَمَنُوا مَعَكَ مِنْ قَرْيَتِنَا أَوْ لَتَعُودُنَّ فِي مِلَّتِنَا قَالَ أَوَلَوْ كُنَّا كَارِهِينَ] {الأعراف:88}.**

- وردّ شعيب والرجال الذين آمنوا معه الرد المفعم بالإيمان ، قال تعالى: **[قَدِ افْتَرَيْنَا عَلَى اللهِ كَذِبًا إِنْ عُدْنَا فِي مِلَّتِكُمْ بَعْدَ إِذْ نَجَّانَا اللهُ مِنْهَا] {الأعراف:89}.**

- وأوضح شعيب ﷺ ومن آمن معه أن الارتداد إلى الكفر لا يمكن أن يكون بعد أن مست شعلة الإيمان القلوب وفوضوا أمرهم إلى الله وحده ، ثم ختموا الحديث بالدعاء [(1)]: **[رَبَّنَا افْتَحْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ قَوْمِنَا بِالحَقِّ وَأَنْتَ خَيْرُ الفَاتِحِينَ] {الأعراف:89}** فاستجاب الله دعاء الرجال المؤمنين بأن سلط الله الحر الشديد على الكافرين حتى غلت مياههم ثم ساق إليهم غمامة ففروا إلى الاستظلال بها من شدة الحر ، وجاءتهم الصيحة وأمطرت عليهم السماء ناراً فاحترقوا [(2)] ، قال تعالى: **[فَكَذَّبُوهُ فَأَخَذَهُمْ عَذَابُ يَوْمِ الظُّلَّةِ إِنَّهُ كَانَ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ] {الشعراء:189}.**

---

(1) انظر: تفسير الفخر الرازي ، مجلد 7 ، ج14 ، ص 188.

(2) مع الأنبياء في القرآن ، عبد العفيف طبارة ص 202.

- وتمت نجاة شعيب عليه السلام والفئة المؤمنة برحمة من الله ، قال تعالى: **[وَلَمَّا جَاءَ أَمْرُنَا نَجَّيْنَا شُعَيْبًا وَالَّذِينَ آَمَنُوا مَعَهُ بِرَحْمَةٍ مِنَّا وَأَخَذَتِ الَّذِينَ ظَلَمُوا الصَّيْحَةُ فَأَصْبَحُوا فِي دِيَارِهِمْ جَاثِمِينَ]{هود:94}.**

إن سيرة محمد ﷺ مليئة بمواقف الرجولة ولو استعرضناها لانقضى الليل وما زلنا نتحدث عن موقف واحد من مواقفه ﷺ.

لقد استنفذت قريش كل الوسائل والأغراض من إغراء وتهديد ضد الرسول وصحابته الكرام لكي توقف دعوة الإسلام إلا أنها باءت بالفشل وذلك لتمكن العقيدة الإسلامية من نفوس المؤمنين ، فقرر الكفار استخدام القوة المفرطة فتآمروا على قتله فدبروا محاولة لاغتياله ﷺ ، وهذا هو تفكير الجاهلية في كل حين تجاه أصحاب الدعوة إلى الله ، وهذا هو منطقهم القائم على السفك والسحل والذبح ليحافظوا على السلطة والحكم من أجل أن تبقى في أيديهم.

وحاولوا التخلص من صاحب الدعوة فاختاروا من كل قبيلة شاباً جلداً بعد أن حاصروا النبي ﷺ ليلاً ليميلوا عليه ميلة واحدة بسيوفهم قبل أن يخرج مهاجراً مع صاحبه أبي بكر الصديق إلا أن الله سلَّمه من صنيعهم الماكر ، وصوّر القرآن هذا الموقف الرجولي [1] بقوله تعالى: **[إِلَّا تَنْصُرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ اللهُ إِذْ أَخْرَجَهُ الَّذِينَ كَفَرُوا ثَانِيَ اثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِي الغَارِ إِذْ يَقُولُ لِصَاحِبِهِ لَا تَحْزَنْ إِنَّ اللهَ مَعَنَا فَأَنْزَلَ اللهُ سَكِينَتَهُ عَلَيْهِ وَأَيَّدَهُ بِجُنُودٍ لَمْ تَرَوْهَا وَجَعَلَ كَلِمَةَ الَّذِينَ كَفَرُوا السُّفْلَى وَكَلِمَةُ اللهِ هِيَ العُلْيَا وَاللهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ] {التوبة:40}.**

المطلب الثاني: الأنبياء رجال مصطفون:

لقد أرسل الله سبحانه وتعالى الرسل من الرجال لأن أعباء الدعوة إلى الله لا يقوم بها إلا الرجال ولا تستطيع المرأة أن تكابد مشاق الدعوة إلى الله كالرجال ، قال تعالى: **[وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ إِلَّا رِجَالًا نُوحِي إِلَيْهِمْ فَاسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ]** {النحل:43}. وهؤلاء الرسل هم المصطفون من بين الناس ، قال تعالى: **[وَإِنَّهُمْ عِنْدَنَا لَمِنَ المُصْطَفَيْنَ الأَخْيَارِ * وَاذْكُرْ إِسْمَاعِيلَ وَاليَسَعَ وَذَا الكِفْلِ وَكُلٌّ مِنَ الأَخْيَارِ]** {ص: 47 ، 48}.

أقر المشركون بعد جدلهم الطويل بإمكانية بعث رسول من البشر وقبلوا بهذا ، ولكنهم وضعوا مواصفات خاصة حسب عقولهم لمن سيكون رسولاً إليهم ، وهذا مخالف لسنة الله ﷻ في بعث الرسل ، فطلبوا أن ينزل هذا القرآن على عظيم من عظماء مكة أو الطائف ، قال تعالى: **[وَقَالُوا لَوْلَا نُزِّلَ هَذَا القُرْءانُ عَلَى رَجُلٍ مِنَ القَرْيَتَيْنِ عَظِيمٍ]{الزُّخرف:31}.**

(1) انظر: سيرة ابن هشام 485/1 ، 486.

وقد استبعد كفار قريش أن يرسل الله رسولاً من البشر وعندما استفاض عندهم أمر إبراهيم ﷺ وموسى وعيسى وغيرهم من الرسل ، وبهذا سدت في وجوههم الحيل ، طالبوا أن ينزل القرآن على الوليد بن المغيرة أو عروة بن مسعود الثقفي ، فكل منهما عظيم المال والجاه وسيد في قومه [1].

لقد ظن هؤلاء القوم أن النبوة لصاحب المنصب العالي والرجل الشريف الكثير المال الرفيع الجاه ، وهذا معيار زائف في اختيار الرسل على أسس مادية أو أسرية ومخالف لما أنزله على رسله الكرام.

وقد فاتهم أن معيار الاصطفاء للنبوة إنما هو القيم الروحية والأدبية والنفسية ، وفاتهم أيضاً أنهـم يتدخلـون في ولاية الله وسلطانه ، فيضعون النبوة حيث شاءوا ، وهذا افتراء على الله ، فإن مرسل الرسل هو الذي يختارهم ، وفاتهم كذلك أن رحمة الله وفضله في الآخرة هي الجنة ، ونعمته في الدنيا هي النبوة وهي خير مما يجمعون [2].

وظن بعض المشركين أن منصب الرسالة شريف ، فلا يليق إلا بشريف ، وهذا صواب، ولكنهم ضموا إلى هذا أمر فاسد وهو أن الرجل الشريف عندهم هو كثير المال والجاه[3].

المطلب الثالث: **إقرار الكفار برجولة الأنبياء**:

آمن الكفار وصدقوا ببشرية الرسل بعد محاولات طويلة ومناكفات عقيمة ، لكن هذا الإيمان لم يصل بهم إلى قبـول الدين ، بل لجأوا إليه ليفتروا فرية جديدة على أنبياء الله عليهم السلام ، فهؤلاء قوم نوح ﷺ يقولون عنه: **[إِنْ هُوَ إِلَّا رَجُلٌ بِهِ جِنَّةٌ فَتَرَبَّصُوا بِهِ حَتَّى حِينٍ]** **{المؤمنون:25}**.

لقد أقرّ هؤلاء القوم برجولة نبيهم ، لكنهم سارعوا يجحدون الحق ويضلون الخلق إلى النهي عن اتباعه ويصدون ويمنعون غيرهم أن يستجيبوا له ، وتناسوا أن الرسول لا بد أن يكون عظيماً عند الله تعالى ، ومتصفاً بصفات تجعل له منزلة عليا ودرجة رفيعة ، فغفلوا عن هذا واتهموا نبيهم بالجنون، وذهاب العقل، وأنه قد مسّته الجن فأصابته بخبل في عقله[4].

---

(1) انظر: تفسير البحر المحيط 14/8 ، وأيضاً التفسير المنير 129/25.

(2) انظر: التفسير المنير 149/25.

(3) انظر: فتح البيان في مقاصد القرآن ، أبو الطيب صديق 348/12.

(4) انظر: فتح الرحمن في تفسير القرآن ، عبد المنعم أحمد 2273/4.

إن هذا اتهام رخيص يصدر من مُفلس الحجة ، وسطحي التفكير والمتصف بالبلاهة في عقله ، العوام من الناس لا يجدون لتسويغ انحرافهم غير اللجوء إلى تسفيه العقلاء والتشكيك في حكمة الحكماء [1].

ثم يتواصون بالانتظار والتربص بنبيهم حتى يستريحوا منه ، أو ييأس فيرجع عن دينه أو يفيق من جنونه ، وكل هذه مكابرة ؛ لأنهم أعرف الناس برجحان عقل نبيهم.

لقد كذب قوم هود رسالته التي جاء بها من ربه ، وعابوا عليه أنه بشر مثلهم يتصف بنفس صفاتهم ، فقد قال تعالى على ألسنتهم: **[إِنْ هُوَ إِلَّا رَجُلٌ افْتَرَى عَلَى اللهِ كَذِبًا وَمَا نَحْنُ لَهُ بِمُؤْمِنِينَ] {المؤمنون:38}**.

فقد غفل هؤلاء القوم عن التدبر في حكمة الحياة وأطوارها ، واستمروا في غفلتهم وجهالتهم حتى اتهموا رسولهم بالافتراء على الله وهم لا يعرفون الله إلا في هذه الحالة فقاموا باتهام الرسول المرسل إليهم [2].

وتذرع الكفار برفض الإيمان بأن الرسول بشر يطعم الطعام ويمشي في الأسواق ، ولهذا طعنوا في الرسالة ونالوا من الرسول ﷺ ورموه بالافتراء وأصروا على الكفر بالداعي ودعوته ، وأنكروا البعث وقالوا عن الرسول إنه مجرد رجل اختلق الكذب على الله فيما جاء به من الرســالة والإنــذار والإخبار بالمعاد ، ولهذا فهم غير مصدقين بما جاء به من الحق [3].

واستهزأ المشركون من كلام النبي محمد ﷺ عندما حدثهم عن البعث والإحياء بعد الموت وسخروا من حديثه فقالوا كما أخبر الله عنهم: **[وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا هَلْ نَدُلُّكُمْ عَلَى رَجُلٍ يُنَبِّئُكُمْ إِذَا مُزِّقْتُمْ كُلَّ مُمَزَّقٍ إِنَّكُمْ لَفِي خَلْقٍ جَدِيدٍ] {سبأ:7}**.

فالمشركون استهانوا بكلام النبي ﷺ عندما دعاهم إلى الإيمان به ، وقال بعضهم لبعض، هل ندلكم على رجل يخبركم أنهم إذا مُزقتم كل ممزق وأصبحتم تراباً وعظاماً ، أنكم تبعثون وتعودون خلقاً جديداً [4].

واستمر المشركون في اتهامهم فقالوا: هل هذا المخبر بالبعث يدعي على الله كذباً وزوراً أم انتابه الجنون ، فهو لا يدري ولا يعقل ما يقول ؟

---

(1) انظر: التفسير الوسيط ، وهبة الزحيلي 1684/2.

(2) انظر: في ظلال القرآن ، سيد قطب 2467/4.

(3) انظر: فتح الرحمن ، عبد المنعم أحمد 2278/4 ، وأيضاً التفسير الوسيط ، وهبة الزحيلي 1691/2.

(4) تفسير الطبري 238/6.

لكن الله سبحانه يرد افتراءاتهم ، ويصفهم باختلال عقولهم وضلال أفهامهم وهذا سيهوي بهم إلى درك الشقاء وسوء المصير ، وهو ما جنته عليهم عقولهم وقولهم الباطل على الأخيار المصطفين من الأنبياء والمرسلين [(1)].

وبهذا يتضح حال المشركين مع الرسل الكرام ، فالكل يصف الأنبياء بالرجولة وكمال الصفات ، لكن سرعان ما يتراجعون عن ذلك بالطعن والافتراء والاتهام الباطل والزور ليبرروا الكفر والجحود والعناد.

الخاتمة:

إن موضوع البحث يدعو إلى تجديد العزم نحو نظرة البشر إلى الرجولة ، فهي تكمن في التزام أوامر الله تعالى والابتعاد عما حرمه الله ، والرجولة تعني الاعتزاز بالهوية الإسلامية وبناء الشخصية المسلمة المتصفة باحترام الآخرين والسعي في مصالحهم وكظم الغيظ وكف الأذى عنهم وغض البصر عن عوراتهم ، والانتصار على هوى النفس ومحاربة الفساد وإغلاق طرق الشيطان.

وليست الرجولة كما استقر في أذهان بعض الناس أنها تكمن في امتلاك السيارات والعمارات والقصور الفارهة أو الشخص الذي يلهث وراء العادات الغربية من حلق بعض الرأس وإطالة الأظفار وحلق اللحية واللباس الضيق أو التطاول على إخوانه في البيت بحجة أنه رجل.

فهذه ليست رجولة وإنما الرجولة التي ذكرها الله ﷻ في مواطن كثيرة من القرآن الكريم والتي تمّ بيانها في هذا البحث ، بعد رحلة فيها من التعب والمتعة المفيدة ، التي أخذنا منها الكثير من الفوائد ، نرى أن نسجل أهم النتائج التي توصلنا لها من خلال البحث وهي كالتالي:

1- لقد حدد القرآن الكريم خصائص الرجولة في العديد من الآيات ، وذكره للعديد من الأوصاف الموضحة لها.
2- إن الرجولة وصف يتعلق بالروح والنفس والقيم العليا والأخلاق النبيلة أكثر مما يتعلق بالبدن والمظهر ، فرب إنسان أوتي القوة البسطة في المال والجسم ، ولكنه صغير بعقله وتفكيره، ورب عبدٌ مشلول الجسد ، نحيل البدن ، ومع ذلك يعيش بهمة الرجال الصالحين والمرسلين، ويعجز عن أفعاله الصالحة أقوى الأصحاء جسماً ومظهراً.
3- حرص الإسلام على إيجاد الرجال الصالحين ، والاهتمام بإعدادهم وتربيتهم التربية الإسلامية الراسخة والأصيلة ؛ لأنهم حماة للمجد والعزة والشرف للأمة.

---

(1) انظر: فتح الرحمن ، عبد المنعم أحمد 2845/5.

4- إن أعظم من تتحقق فيهم مقومات الرجولة هم الذين يهتدون بنور الإسلام ويعتقدون بعقيدة التوحيد ويحققون العبادة لله الواحد القهار ويتقون الله سراً وعلانية في الليل والنهار ، فتنشأ عندهم الإرادة القوية ، والهمة العالية ، والنخوة والعزة والإباء والتضحية والفداء والثبات على الحق وقت المحن والشدائد.

5- جميع الرسل كانوا رجالاً ، ولم يبعث الله امرأة قط ؛ لأن مهمة الدعوة الإسلامية مهمة شاقة، وتتطلب قوة وجلد وشدة فيمن يتحملها.

6- الرسل الكرام هم القدوة الحسنة لجميع الرجال ؛ لأنهم اكتملت فيهم صفات الرجولة ، واستقامت على حياتهم الصالحات.

7- إن أهم عوامل ضياع الرجولة عند الناس تكمن في انقلاب الموازين والمقاييس العقلية لديهم كتخوين الأمين وتكذيب الصادق والاستعانة بغير الله وقطع السبيل والترويج للباطل.

8- القوامة في البيوت من مسئولية الرجل وهذا تكليف له وليس تشريفاً ، إنما هي أمانة استرعاهم الحق تبارك وتعالى إياها.

9- الكفر والشرك من العيوب التي تقدح في الرجولة وانعدام الغيرة على الأهل ، ومخالفة الفطرة وتنكب طريقها من خصائص الشواذ وليس من صفات الرجال.

10- فعل المنكرات ومحاربة الآمنين من صفات أهل الفساد والانحراف الذين يتنكرون لخصائص الرجولة.

المصادر والمراجع

1- إرشـــاد العقـــل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم ، للقاضي أبي السعود محمـــد العمـــادي ، ت (951هـ) ، ط1 ، دار الفكر.

2- إتمام الوفاء في سيرة الخلفاء ، محمد الخضري بك ، ط4 ، مطبعة الاستقامة ، القاهرة.

3- الأساس في التفسير ، سعيد حوى ، ط2 ، دار السلام ، 1989م.

4- أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن ، محمد الأمين الشنقيطي ، ت (1393هـ) ، ط1 ، دار الكتب العلمية ، 2000م.

5- البحر المحيط، محمد بن يوسف الشهير بأبي حيان، ت(745هـ)، ط1، دار الكتب العلميـــة، 2001م.

6- التحرير والتنوير ، محمد الطاهر بن عاشور ، دار سحنون ، بدون طبعة.

7- تفسير الشعراوي ، محمد متولي الشعراوي ، أخبار اليوم ، قطاع الثقافة ، بدون طبعة.

8- تفسير القرآن العظيم ، عماد الدين "أبو الفداء" ابن كثير الدمشقي ، ت (774هـ) ، ط2 مؤسسة الريان، 1996م، وأيضاً الطبعة الأولى، دار الفيحاء ، دمشق، 1992م ، 1413هـ.
9- تفسير مفردات ألفاظ القرآن الكريم، سميح عاطف الزين، دار الكتاب اللبناني ، بيروت.
10- التفسير المنير في العقيدة والشريعة ، وهبة الزحيلي ، ط8 ، دار الفكر ، 2005م.
11- التفسير الوسيط ، وهبة الزحيلي ، ط1 ، دار الفكر المعاصر ، 2001م.
12- تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان ، عبد الرحمن السعدي ، ط1 ، مؤسسة الرسالة، 1995م
13- جامع البيان في تأويل آي القرآن ، محمد بن جرير الطبري ، ت (310هـ) ، دار الثقافة العربية.
14- حياة العقيدة ورجالها ، محمد عبد الحميد أحمد ، ط دار الأنصار.
15- رجال أنزل الله فيهم قرآناً ، عبد الرحمن عميرة ، ط3 ، درا الجيل ، 1994م.
16- العبادة في الإسلام ، الشيخ يوسف القرضاوي ، مكتبة وهبة ، القاهرة.
17- فتح البيان في بيان مقاصد القرآن، أبو الطيب صديق، ت (1307هـ)، دار إحياء التراث، 1989م
18- فتح القدير ، محمد بن علي الشوكاني ، ط1 ، دار الخير ، 1992م.
19- فتح الرحمن في تفسير القرآن ، عبد المنعم أحمد ، ط1 ، دار السلام ، 1995م.
20- فقه الزكاة ، الشيخ يوسف القرضاوي ، دار المعرفة ، بدون طبعة.
21- الفقه المبسط في المذهب الشافعي، محمد أديب كلكل ، ط4 ، مكتبة الدعوة ، حماة ، سوريا.
22- في ظلال القرآن ، سيد قطب ، ط5 ، دار الشروق ، 1996م.
23- القاموس المحيط ، للفيروزآبادي ، ط دار الفكر ، جديدة وموثقة ومصححة.
24- محاسن التأويل ، محمد جمال الدين القاسمي ، ط1 ، دار الكتب العلمية ، 1997م.
25- مع الأنبياء في القرآن الكريم ، عفيف طبّارة ، ط5 ، دار العلم للملايين ، بيروت ، 1985م.
26- المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم ، محمد فؤاد عبد الباقي ، ط1 ، دار الحديث ، 1996م.
27- http:www.islamweb.net
28- http:www.ozkorallah.net
29- http:www.islamhouse.com